

S A L I M B A R A K A T

رواية
NOVEL

سليم بركات

السلام الرملية



السلام الرمليّة / رواية عربيّة
سليم بركات / مؤلف من سورّيّة
الطبعة الأولى ، 2007
حقوق الطبع محفوظة



المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :

بيروت ، الصنائع ، بناية عيد بن سالم ،

ص. ب 5460-11 ، هاتفكس 751438 / 1 752308 00961

التوزيع في الأردن :

دار الفارس للنشر والتوزيع

عمّان ، ص. ب 9157 ، هاتف 5605432 00962 6 ، هاتفكس 5685501 00962 6

e-mail : info@airpbooks.com

موقع الدار الإلكتروني : www.airpbooks.com

تصميم الغلاف والإشراف الفني :

ستيب®

لوحة الغلاف : رافال أولينسكي / بولنّدة

الصفّ الضوئيّ : المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر

التنفيذ الطباعيّ : مصطفى قانصو للطباعة والتجارة / بيروت ، لبنان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات ، أو نقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن مسبق من الناشر .

ISBN 9953-36-970-4



سليم بركات
السلام الرملية



Södermalm

«أأنت تبحثين عني؟» ، سأل الرجلُ الأنيق ، القَلْقُ العينين ، فتاةً من نَسْلِ الشرقِ الراكدِ في جِرارِ المغول . بوغَتِ الفتاةُ الشاحبة قليلاً . رفعت وجهها المستدير إليه ، تتأملُه بعينيها المختبئتين في صَدَفِ أجفانها - أجفانٍ من يَتَّقِي الرِّيحَ الخَفِيَّةَ فيُطَبِّقُهَا .

«لا أبحث عنك» ، ردَّتْ باعتذارٍ لاميْنٍ له ، فَحَاذَ الرجلُ الأنيقُ عنها على عَجَلٍ . اعترضَ شخصاً آخر : «أأنتَ تبحث عني؟» ، فتجاهلَه الشخصُ الآخر .

عشرة أنفار ، أو أكثر ، تجاهلوا سؤال الرجل الأنيق . حادوا عنه ، وأكملوا عبورهم إلى منابت الحظوظ في عالم الأعالي ، خارج نفق «سُودِرْمَالْم» - محطة الأقفال المُهمَّلة .

خلا النفق لحظاتٍ إلّا من الرجل ذي السترةِ الجلدِ البُنِيَّة ، الطويل الشعر حتى شحمتي أذنيه . دار بعينه القلقتين على رسوم الجدران ، التي أُنجِزَتْ على أنقاضِ رسوم قديمة : جمعٌ في عباءات من كل لون . على كتف كل امرأة ، من ذلك الجمع ، كُرَّةٌ متشققة من بازلت أسود . في الشقوق قُصاصاتُ ورقٍ عالقة ، منحسرةٌ حَسْراً كأنما أُدخلت إليها عنوةً بالأصابع ، وعليها حروفٌ مقلوبة ، أو متداخلة ، من لغة منسية .

أصداء خطوات كالفقهة عُلّتْ ، رويداً رويداً ، في النفق ، بمجيء
المقبلين إلى لقاء القطار القادم . وصل القطار المبشر باعتراف الكمال
بين يدي الوقت الكاهن . انزاحت الأبواب ، بانزلاقة غاضبة إلى
جانب هيكله المديد . تنفّست مقطوراتهُ ، فهرعت الجموعُ خارجةً مع
أنفاسها المعدنية ، ثم انتشرت . تقاطعت المعاطفُ والقبعاتُ خرائط
ارتجلت المصادفةُ رَسَمَها بحنكة التهور . تبادلَتِ الناسُ أعضاءها على
عَجَلٍ ، واستردّتها على عَجَلٍ ، منقسمةً على جبهات الأدراج الآلية ،
في حروب صامتة بلا قَتْل .

تحركت الأدراجُ على جهتيّ النفق .

ساكنةٌ صعدت الأجسادُ ، بشفاعة الحركة الحاملة للعتلات الحاملة
في الباطن المعدنيّ ، إلى فوهات الكهوف .

«أأنت .. أأنت ..» ، ارتفعت كلماتُ الرجل الأنيق مستوقفاً
البعضَ باعتراضهم ، فتجاهلوه ، أو هزّوا رؤوسهم بلا جواب ، وأكملوا
عبورهم إلى منابت الحظوظ في الأعالي ، خارج نفق ، «سُودِرْ مالم» -
نفق الأصفار المُخادعة .

خلا النفقُ من جديد . دار الرجل ، ذو العقد الرابع من العمر ،
على نفسه بهبوب الحيرة عليها . زرّر سترته الجلدة ، النازلة حتى
منتصف فخذه ، فوق بنطاله الأسود الخشن . رفع يديه إلى رأسه فوزّع
شعره الرماديّ بأناملٍ مدربةٍ ، على جانبي وجهه ، حين مرّت من فوقه
حمامة داخلّة من مكان ما . حطت الحمامةُ قرب مقعد تلتقط من
الأرض فضلات طعام أسقطها عابرون أكلوا شطائر خبز بلا اكتراثٍ
بطعمها . دخلت تحت المقعد . حدّق إليها الرجل الأنيق : «أأنت
تبحثين عني؟» ، ساءلها في صمت . خرجت الحمامةُ ، المتأكلةُ

اللون ، من تحت المقعد . نقرت البلاط الصلب تلتقط ، من أعماقه ، بذوراً غذاءها سماء الصخب من عبور القطارات . تقدّم منها الرجل الأنيق ، فأسرعت مبتعدة بلا خوف . خلع الرجل فردة حذائه الأسود ، المفلطح المقدمة ، ورمى الحمامة بها ، فأخطأها . ارتفعت الحمامة ، على نحوٍ ساخر ، متراً ، ثم حطّت من جديد ، مسترسلة في نقر البلاط الصلب . استعاد الرجل الأنيق فردة حذائه . جلس على المقعد وارتداها . تتمم : «ماذا تأكلين ، يا ابنة الندم؟» . انحنى إلى الأمام متكئاً بمرفقيه على فخذه . جال بعينه على الرسوم - الجدارية . «لن يقنعني أحد أن اسمي غير مدون ، بهذه الحروف ، على قُصاصات الورق المحشورة في شقوق الكرات البازلت . أنا آيبريم» . نهض واقفاً . تطلّع إلى جهتي النفق - شقيق الباطن . هتف : «اسمي آيبريم» ، فنظر إليه بعض القادمين لاقتناص القطار القادم - طريدة الصوت ذي القرون .

وصل القطار أنيقاً بأبوابه الخجولة في ارتدادها جانباً لينزل النازلون ، ويصعد الصاعدون . قطار جديد في الخدمة ، انعكست كُرات الرسوم الجدارية على زُرقة طلائه كهّمسات تُرى .

سارع آيبريم إلى اقتناص العابرين يختارهم عشواء لسؤاله النّصل : «أتبحث عني؟» . احتدمت كلماته ؛ تشاجرت ، بصداها ، مع العابرين بلا اكتراث . هزّ البعض رأسه نافياً . هزّ البعض رأسه استنكاراً ، أو استغراباً . وحدها ، امرأة في عقدها الخامس ، شقراء نحيلة ، استدارت إليه متوقفة . ابتسمت . وضعت صحيفة مطوية تحملها في يده ، وأكملت عبورها . نظر آيبريم إلى الصحيفة في صمت . رفع عينيه يستجلي المرأة ، التي غابت في الحشد المرتفع ،

بطيشاً ، على الأدراج ، بشفاعة الحركة الأبدية في المعادن ، صوب
المَخَارِج - اليقين .

خلاً النفق ، من جديد . عادت الحمامة الساخرة إلى تجوالها على
الرصيف . لم تنقر فتاتاً هنا أو هناك . استعرضت الرسوم الجدارية ،
بدورها ، مستغرقة في عبث بقاء ذلك الجَمْع ثابتاً في قيود الخطوط
واللون . طارت ، بغتة ، صوب فضاء الرسوم فصدمت الجدار . هوت
أسفل الخندق ، على سكة عبور القطار دائخة . نفضت عن ريشها
رذاذ الصدمة ، ثم حُلقت إلى جهة الأدراج الآلية . ارتفعت خطى
خولة لشخص واحد ، قادم بلا اتفاق مع المواعيد المضبوطة للأقدار
على الجداول المُلصقة - بيقين الحساب وحراسته - على لوحات عيون
ترى بها الطُرق عِلل وجودها المروّض : شاب بدين ، أسمر البشرة ،
وضع حقيبتَه الرثة ، المفتوحة الفارغة ، على رصيف النفق . علق آلة
أكورديون إلى كتفيه . مَطَّها فانفرج القماش طيات على طيات .
تنشّقت الآلة الهواء المخلّل ملء رثتيها ، ثم أطلقت زفيراً مرسوماً ،
بعناية النغم ، على رمل الصوت . اجتمعت حقائق الصوت المهدبة
ذرات لصق أخرى حيناً ، وذرات تناءت عن بعض حيناً . خُفّق
الرمل . تذرّذرت وتطاير . تماوج . ركّذ . تضرّعت آلة الأكورديون إلى الهواء
أن يعيرها أرقامه السبعة عشر ، أو نصفها . تقدم أبيريم من العازف :
« ماتاريخ هذا النفق ؟ » ساءله .

لجم العازف آتته . أخرسها : « ماذا قلت ؟ » .

« ماتاريخ هذا النفق ؟ » . كرر أبيريم سؤاله بلسان مُخْتدم قليلاً .
تأمّله العازف برهة . أجهّد خياله في استقراء المعنى الحامض .
نزع الأكورديون عن كتفيه . قيّدها ، ثم وضعها في الحقيبة . أغلق

الحقيبة . حملها وغادر النفق .

قادمون جدّد انحدروا على الأدراج الآلية ، من جهتي النفق ،
يتشمّمون ثمرة المواعيد الناضجة ، كالمندرين ، على شجرة الحساب .
اكتأب أبيريم وهو يصغي إلى الثرات في الإعلان الضوئي عن القطار
القادم . تكلم بلا اكتراث لِمَنْ جاوروه منتظرين في سكون : «هناك
مَنْ يبحث عني . هناك مَنْ سيخبرني شيئاً عن النبيّ الجديد ، القادم
إلى عشاء أبي يالؤه» .

قوس الجليد على كتف جبل كاكُونْتْ

رفع الستة الأنفار عيونهم المغولية - عيونَ النفير الكشاف إلى
الصقر النيزك منقضاً على يمامة في نقش السماء . صدمها فدوخها
فتقلبت أربع مرات قبل أن يلتقطها ببرائنه مغمى عليها لن تستيقظ
إلا في جُحر حجريّ من منحدرات جبل كاكُونْتْ الشاهقة . سيُغالِبُها
خَدَرُ الفكرة المتقوضة في خيال المستسلم ، وستسمع ، وهي تُمزقُ ،
زقزقة فراخ مهتاجين متعة .

ابتسموا مفتوحى الأفواه ، واضعين أيديهم على قُبعاتهم الفراء
المستديرة ، ممسكين بأيدي أخرى خُطَمَ جمالهم ذوات السّنامين ،
المجدولة من شرائط جلد الجاموس : كانوا ممتنين لطبائع القنص في
السماء امتنانهم لطبائع القنص في البرّ . خفضوا أبصارهم عن حدائق
الأزرق العالية ، فسرحوها ، ثانيةً ، على سهوب العشب القزم ،
مسفوحةً بُعْداً بُعْداً آخر حتى أشداق الكهوف الجنوبية للجبل ذي
الأكتاف الجليد .

تبادلوا زقاً من خمرة حليب الخيل ، لاذعةً في الحلق بكثافة
كحولها . أخذ كلٌّ رشفةً من سرّة الزّق . لمظوا شفاههم بالسنتهم
مستمريّن السائل الحلو الحريّف ، ثم مرّروا الزّق مفتوح السرة تحت

مخاطم الجمال ذات الوبر الطويل ، المَسْرَحُ بأمشاطٍ من خشب
العضاء . أنكرت الجمالُ الرائحةَ فضحكوا .

بأخفاف جلد وطأ الستة مدارج زهر البابونج ، النبات بلا أعناق ،
ضئيل الحجم ، منكمشاً من بقايا سُعار الشتاء الطويل الجاف ،
الجليديّ ، في إقليم كاروكشين - إقليم سلالة شالين شاه التاسعة ،
النبية في الرُسم بخمائر العُصفُر ممزوجاً بكيلوس جرادة العَدَس ، على
الحرير .

قطفوا بعضاً من زهور البابونج . فركوها بين راحتهم الخشنة -
راحت أهل الريح . شموها ، ثم مضغوها .

قدّموا الجمالهم ، وهم يقودونها مَشياً ، أضاميم من ورق الخُبيز
المعرّش - ربيب يزور النوع الحجريّ . لقّموا أنفسهم رقائق من معدة
الجاموس المجففة ، ورقائق من شحم سنام الجمل . طحنوا بأضراسهم
زبيباً لم تُنزع منه النوى . حيّوا الريح الخفيفة ، المثلثة بزفير ضعيف
من رثي الثلج فوق جبل كاكونت . أغمضوا عيونهم . ناموا ماشين .

الربيع الجديد ، وليدُ الدورة الناقصة في خمائر أرض كاروكشين ،
أنشد بلسانه المتعثر للسهب تنويعَ العشب الناقص غناءً . لكن ما من
شكوى ترفعها الأرضُ إلى الجهات . شتاء ، جاف ، طويل ، ينحسر ،
على مضض من مربيته الريح ، وبطشها القاهر ، عن السهب بلا
إتمام . يُبقي قوسه معلّقةً على كتفي جبل كاكونت - قوس الثلج
المتجمّد ، حتى يقظته التالية من قيلولة هي صيفٌ وخريفٌ متآكلان ،
مُرْتَثَنان ، مهترئان من ركل الغبار لأيامها . الربيع الوليد ينتهز ، على
عجل ، فرصة حظوظه كلّها باختزال مؤدّب : زهرٌ قصير . نباتٌ قصير .
سُحْبٌ قصيرة ، مجففة كالزبيب ، يطوّقها فطرٌ سماوي أخضر . جروح

قصيرة من الشقائق في السهوب ، تحيط ، أبداً ، بأوكار الشعالب
البيضاء . طيرانٌ قصيرٌ لطيور القَبَج . شمسٌ قصيرةُ الشعاعات .
ربيعٌ قصيرٌ يقف على أصابع قدميه المغوليتين كي يلتقط أقلَّ
القليل من قِشدة الدفء في طُسْتِ الله .
تشمُّ الستةُ الأنفَارُ ، بأنوفهم المضغوطة بين وجناتهم العالية ،
ثروات التخوم الأخيرة لسهوب كازوكْشِينْ على باب صحراء
لُوكْهِينْ .

Fridhemsplan

«البارحة خطأ اليوم» ، قال الرجل النحيل نَوَاهِينُ . هو يعرف متى ينضج الهواء في الأنفاق ليأكله ، مُدَخِّنًا ، بأسنان الكلمات . وليمته تبدأ حين تعلن المحطات عن تأخر قطاراتها ؛ حين يعلن له قلبه المدقق في أرقام أعماقه أن محطة هنا ، أو هناك ، ستعلن عن تأخر قطاراتها . تنهياً كلماته ، فتتهياً الأعطال الطارئة ، بحكمة المصادفة ، على حركة عبور العجلات الحديد فوق السكك الحديد . وهاهو نواهين قد اعتلى منصته الصغيرة ، التي تطوى وتُفَتَّح وتُحْمَل بِئْسَر ، في منتصف الفاصل بين الأدراج الآلية الصاعدة والأدراج الآلية الهابطة ، متجهاً إلى الفسحة المديدة المواجهة للحائط ، الذي تقع على جهتيه سكتا قطارين متعاكسين .

«البارحة خطأ مقصود من أخطاء هذا اليوم» ، قال نواهين للذين تجمعوا ، في فضول ، مستائين من التأخير المُعلن ثمانين عشرة دقيقة مهشمة ، مطحونة توابل في حساء محترق . فتح أزرار سترته المحشوة بريش في بطانتها . كانت منتفخة على جسده النحيل ، كأنما ترمم التوازن المتزعزع في خيال الشكل . «الغد خطأ ، سهواً ، من أخطاء الغد الذي يليه . الزمن ، برمته ، خطأ في حساب لن يتم تصحيحه

إلاً بالنسيان». فتح ذراعيه يستقبل أشباحاً هُرعت إليه من بوابة كلماته: «لا تفهموني على نحو لا أريده، ولا تريدون. قيلَ لي كثيراً إن الموتى يعاقبون الزمنَ. هل قيلَ لكم ذلك؟»، نقل بصره في الوجوه المبتسمة، والمتأملّة، والمكتفية بإصغاء لا فضولَ فيه. ضحكت أربع نساء محتشمات في معاطفهن الطويلة، وخُمُرهنّ المطوّقة وجوههنّ بصرامة. أبدى نواهين مَرَحاً من عينيه تعقيباً على ضحكهنّ: «أنتنّ، لا الموتى، مَنْ يعاقبنَ الزمنَ». صفّق بيديه: «أنتم الأحياء مَنْ يعاقبون الزمنَ. المسألة، برُمْتها، عقْدٌ يمكن أن نلغيه. كلُّ عقْدٍ لا متوازن. الألم، وحده، متوازن».

قاطعته شخصٌ من الجمع الصغير: «الزمنُ متوازنٌ أيضاً». صمت نواهين برهةً. نطقَ: «لذلك نعاقبه»، قال، فقاطعه الشخصُ ذاته: «كيف نعاقبُ الألم؟».

«تتعهدّه بالرعاية»، ردّ نواهين من فوره. أردفَ: «نغذّيه. نجعله زبدةً صباحنا على الإفطار. نعلّقه في حلقة مفاتيحنا»، قال، فارتفع صوتُ شخصٍ جديد:

- أَرْنِيهِ بين مفاتيحك.

تدخلت امرأةٌ في عقدها الخامس، معتكرة المزاج في الأرجح: «هل الألم ذكرٌ أم أنثى، أيها السيد؟» قالت متوجهةً إلى نواهين، فأجابها شاب ملتح: «أنثى. إنني أنكحها كلَّ فجر».

«كيف ذلك، وهو ينكحني صباحاً، وظهراً، وليلاً؟»، قالت المرأةُ تلك، وهي تقضم تفاحة في يدها، فقهقه الآخرون.

«لماذا تسألين، إذاً عن جنسه، وهو في فراشك كل يوم؟»، ساءلها الشاب الملتحي.

«ليس في فراشي تحديدًا ، أيها الشاب . إنه يفعلها بي في المصعد ، وفي الحديقة ، وفي المتجر ، وعلى الدرج الآلي ، وفي القطار» ، قالت المرأة المعتكرة المزاج ، بصوت خشن .

«أرجوكم . لا أريد سجالاً . حين تصعدون قطاركم القادم ، وتنسون أمر الدقائق الثماني عشرة هذه ، ستعرفون أنكم عاقبتهم الزمنَ اليوم . لقد قدمتم هباتكم كاملة لنفق «فِرْدْهامْسُ بِلَانْ» - نفقِ قلب البحر تحت أضلاع السماء اليمنى» ، قال نواهين . صَمَتَ ينقل عينيه بين العيون الأخرى ، ففاجأوه بتصفيق لا متوقَّع .

وضع نواهين يديه في جيبي سترته قابضاً على الرضا ملاًهما : «مَنْ أنتم؟» ، سأل هامساً ، فأتاه صوت بعيد قليلاً : «ماذا قلت؟» .

«من أنتم؟» ، قال نواهين متلمساً الفراغ بأنامل لسانه . تناهى ضحك من الجمع الصغير . ابتسم : «سأريكم ما لا تستطيعون أن تحتملوه ، كي تعرفوا لي مَنْ أنتم» .

«اعترفي له» ، قال الشاب الملتهجي متوجهاً بإشارة من يده إلى السيدة المعتكرة المزاج . أردف : «أنت ، مَنْ تحملين معك قضيب الألم إلى كل مكان ، اعترفي لهذا السيد المثير مَنْ تكونين» ، فقذفته المرأة ببقية تفاحتها المقضومة . أصابت شخصاً آخر في كتفه . احتدم الشخص الذي أُصيب : «ماذا تفعلين؟» .

رفع نواهين ذراعيه عالياً يعترضُ المماحكة الناشبة بلا إذن منه . استدار إلى حائط النفق يمينا : «هل استشاركم أحدٌ في تغيير الرسوم الجدارية هنا؟ ماهذه السفن كلها؟ ماتفعل طيور الـ PUFFIN في نفق محطة فِرْدْهامْسُ بِلَانْ؟» .

رسوم جديدة هي التي سلختُ ، بشفرات اللون ، جلودَ الرسوم

القديمة ، عن جداريَّ النفق الكبير . قَصَمَتْ لُبَّهَا . أفرغَتْها .

رسومٌ جديدةٌ أغرقت النَّفْقَ بِسُلْطَةِ جِدَالِهَا - جِدَالِ الْبِرَاعَةِ الْمُسْلِيَةِ : سفن كثيرة ذوات أشرعة ، صغيرة الحجم في المشهد . سماء نقيّة . بحر نقي . هدوءٌ مُبْتَدَلٌ . زُرْقَةٌ مُدَخَّنَةٌ بخمول كثير صرْفَه مَنْ وَضَعَ الرسومُ كي يؤكد للعين جمالَ الخمول . لكن طيَّورَ الْبَقْنَ - عرائسَ القطبِ المجتهد في تذكير الخيال بنزقِ إقليمه ، بدت ضخمةً باستوائها على خط البعد الأقرب من أبعاد المسافات المفترضة عُمُقاً ، داخل جدار النفق . السفن ، في البعيد ، أصغر من مناقيرها المثثة . السماء والبحر ، معاً ، مجفَّفان في حيْزِهما الضيق ، المتراجع أمام الرحابة المفرطة لحيْزِ أجساد الْبَقْنَ ، الطائرة أو الواقفة على خط البرزخ - نهاية التقاء الرسم ، على علوِّ مترين ، بالفضاء الإسمنت المتروك نهياً لوساوس الرمادي : أسفل فضاء الإسمنت ثُمَّت الأرضُ الحصى والسكَّتان الحديدُ . أسفل الأرض الحصى والسكتين ثُمَّت الظلامُ الكاتبُ ، يليه الظلامُ القاريُّ ، الذي تليه - أسفل أسفل - جموعُ النفق منعكسةٌ في مرايا السُّحْرَةِ المفقودين .

«كلُّمنا أرادَ رسامٌ أن يستهزىءَ بكم جَلَبَ البحرَ معه ، ونشره كملاءة على الجدران . البحرُ ضَعْفٌ في منطق الرسم ؛ ثرثرة في منطق اللون . البحرُ قمامةُ السماء يجمعها الرسامون في براميل خيالهم ، ثم يدلقونها علينا . البحرُ صدادُ أزرق» ، قال نواهين . مدُّ ذراعه اليسرى في اتجاه الجمع : «أيحمل أحدكم زجاجة ماء؟ أعطوني زجاجة ماء» .

«أأنت عطشان؟» ، ساءله الشاب الملتحي ، فردت المرأة المعتكرة المزاج : «وجودك يجفِّفُ الحنجرة . أنا عطشانة أيضاً» .

«لا . لا . لا . لست عطشان . أردتُ أريكم ما يستطيع شخصٌ أن

يفعل بالمعجزة . الماء معجزة ، وأنا قادر على إهانتها بقُدرةٍ ساحر .
 أعطوني زجاجة ماء » ، قال نواhein بصوت فيه لوعةٌ . « أعطوني طائراً
 من طيور الأعشاش الحجر هذه » ، قال بعد لحظة صمت . أردف :
 « أعطوني نفقاً أوزَّعهُ بالأمطار على شعبي » . أغمض عينيه . حاول
 الخروج بنظام للصور المتهاشمة ، كجراء ، في خياله . « الأنفاقُ عنايةُ
 المعجزات الصغيرة بيتامي المعجزات الكبيرة . الأنفاقُ سطورٌ في آخر
 كتابة دُونها الأدمي . مامنُ كتابة أخرى بعد الآن . » ، قال نواhein
 مستريحاً إلى فكرته ، ثم صرخ : « أعطوني نفقاً » .

صفَّق الجمعُ الصغيرُ . امتلأت رثتا نواhein بالأنفاس العجولة
 للأرقام على لوح المواعيد المتدلي من قبة النفق . أضيئت حنجرته
 بالأرقام الضوئية موزعةً على حروف المصادفات . أضيء لسانه : « لا
 تنظروا إلى ساعاتكم . أخي أبيريم لا يحمل ساعة » ، قال . رفع يده
 متسائلاً : « تعرفون أخي أبيريم . أليس كذلك ؟ إنه يجمع البراهين في
 محطة سُوْدَرْمَالَم . يجمع لكم ما لن تستطيعوا غفراناً لأنفسكم على
 نسيانه : أملَ الأنبياء في العثور على نفق » .

صفَّق الجمعُ الصغير . صفَّق قلبُ نواhein : « عقولٌ متَّحدةٌ ،
 كثيرةٌ ، تسترسل الآن ، في تلفيق التتمات الناقصة . نظامُ التتمات
 الناقصة يوفِّر لنا الخروج من أزمة المُمكن » .

قاطعه الجمعُ الصغير ، بالتصفيق .

« لستُ حاملاً » ، قال نواhein بنبرة اللسان المنتصر .

توالى التصفيق بلا انقطاع . انحنى نواhein ممتناً : « الخيبةُ عِلْمٌ ؛
 قانونٌ وقواعدٌ » ، قال بصوت ارتطم بشبكة الصخب . رفع يديه مهدّئاً
 فلم تهدأ الأيدي .

انقلب التصفيقُ إيقاعاً . حميَ الصوتُ الجارفُ حتى عرقتُ
جبهة نواهين . فتح يديه وفمه متوسلاً برهةً يعيد بها سياقَ وجوده
سيطرةً للسان على الأيدي .

تمادت الأيدي في التقاذف بكُرةِ التصفيق إلى كل اتجاه
كطَلقات . نزفت جدرانُ النفق ، وقبةُ سقفه ، صدىً رطباً ثقيلاً زئبقاً .
تبلبلُ نواهين . أبدى استنكاراً بعينيه . جمع أصابعه كُوزاً أمام
الوجه كي تفضلُ عليه بمُهلة ، فجوبهَ بعصفٍ صَخَبٍ أشدَّ .

تهلَّكت كتفا نواهين استسلاماً . انطبقتُ عليه مَحَارَاتُ الحيرةِ
التسعُ ، فانطبقَ يقينُ خطابه الناقص . رفع صوتهُ بنداء استغاثة بلا
كلمات . سحق التصفيقُ صوتهَ سحقاً ؛ فثَّتهُ ؛ نثره جافاً قشوراً . سدَّ
أذنيه بيديه . تكوَّم مرفصاً فوق المنصَّة الصغيرة ، ذات المفاصل القابلة
للنشر والطيِّ يُسِر . بلغتْ دغدغاتُ التصفيقِ الخشنةُ عظمَ قُحفه ،
تحت فروة الرأس . صرَّتْ مخالبُ التصفيقِ إلى العظم . انحدرَ الصريرُ
جليداً في نخاع فقراتِ ظهره القُطنية . تلوى نواهين . طوَّقَ بطنه
بذراعيه كأنما يمنع أحشاءه أن تندلق . أطلق صرخة متواصلةً من
حنجرته حتى انتفخت الأوردة من العنق حتى الجبين . اختنقت
الحياةُ ، من حوله ، بنشيج لا يُسمع . نهض واقفاً . خلع سترتهُ ورمى
الجمعَ بها . فتح الجمعُ ممراً للسترة فسقطت على رصيف النفق .
اشتد التصفيق المتواصل .

خلع نواهين فردتيَّ حذائه ، ورمى بهما الجمعَ . فتفادوهما . رماه
بسنين عمره الستِّ والثلاثين .
التهب التصفيق .

نزل نواهين عن منصَّته المفصلية الصغيرة . رفعها بيديه ورمى

الجمعَ بها . حادَ الجمعُ عن المنصة الطائرة فلم تُصب أحداً .
صعد الدخانُ من الأكفِّ الهاذية بتصفيقها .
جثا نواهين على الأرض . ركعَ . ضربَ بجبهته الرصيفَ مراراً .
«نبيُّ قادمٍ إلى عشاء أبي يالُوهُ ، الليلةَ . سيراني منهكاً ، أيها
المدعورون» .
غطى صوتُ القطار القادم ، مندفعاً بجناحين من موجٍ مياهٍ ، على
كل شيء .

مغيبٌ مُملَحٌ

«أين تعتقد أنهم دفنوا خصيتيك ، ياتَالْمَاجُورُ؟» ، قال تَاهَشِينُ ،
ذو الغمازة الداكنة في جلد خدّه - الجلد المنكمش من لَعَقِ الريح
الباردة .

«لَمْ تُدْفِنَا . ربما بهما الصَّبِيَّانِ إِلَى الكُنَاسَةِ فتهاارشت الكلابُ
عليهما . لِيَتَهَمَ مَلُحُوهُمَا كالشحم ، الذي تَأْكُلُهُ ياتَاهَشِينُ . كُنْتُ
عَلَّقْتُهُمَا قُرْطَيْنِ فِي أُذُنَيَّ جَمَلِي ، أَوْ خَلَطْتُهُمَا لَكَ بِالزَّيْبِ فِي
جِرَابِكَ» ، ردَّ تالماجور الأعرج .

«انظرا إليَّ أيها الضَّبُعَانِ . هنالك لقمة في فمي . لا تقزّزاني» ،
قال بِيغُونُ ، ذو الشاربين المتعلّقين بزأويَتَيَّ فمه .

لم يكثرث تاهشين لاستياء صاحبه بيغون . أكمل المساءلة :
«ماذا فعلتَ حين جُبْتُ خصيتاك؟» فردَّ تالماجور :

- لم أفعل شيئاً ، يالسان الطاووس . أغمي عليَّ . لا . سُلْتُ
العروقُ من جسدي بملقط عِرْقاً عِرْقاً ، من صدغيّ حتى عقبيّ قديمي ،
كما يسحب الغرابُ الحَرَاطِينَ - الديدانَ من خروم الأرض . أُفْرِغْتُ
عظامي من النُّقْيِ بسبخ حديد . مَشَّ النخاعُ من فقر ظهري بفم من
نار . سُلَخَ شَعَافُ قلبي . جُوفُ قحف رأسي ومِلَى بخاراً مغلياً .

سقطت عيناى من محجرهما . ذاب كل شيء . سَبَحْتُ في جمرٍ
أكلته كما تأكلُ ، أنتَ ، كبدَ الدجاجة ، وشربتُ الرمادَ كما تشرب
ماءً . ليس عليك أن تسألني - إذا - ماذا فعلتُ لحظةَ إخصائي ،
يالسانَ الطاووس ، بل اسألني ماذا فعلتُ قبل ذلك ، أو بعده .
«ماذا فعلتُ؟» سأله تاهشين .

«لم أفعل شيئاً قبل ذلك . سُدَّ فمي بحزام . قُيِّدْتُ ، جالساً ، إلى
عمود . طوى أبي ساقيَّ إلى صدري وقد دمعت عيناه . ربطَ الجزارُ
خصيتيَّ بشريط ، واقطعهما بالمِشْقَصِ خُلْساً ، قال تالماجور الأعرج .
مسحَ زاويتي فمه بيده الخشنة . استرسلَ : «لم أفعل شيئاً بعد ذلك .
رأيتهم ، مَبْهُوتاً ملجوماً من الألم ، ينشرون على موضعِ الجَبِّ ملحاً
مزوجاً بالكِلْس . كنتُ مستسلماً للأملِ المغرورقِ العينين في عيني
أبي ؛ أمله في أن يسير بي إلى بلاطِ تِغْفُوتَكِينِ شاه ، فينالَ بعلمي
عنده في دارِ الحريم ، حظوةً » ، قال تالماجور .

«ألا تحنُّ إلى خصيتيك؟» ، ساءله جانكوه الأمهق .
«أحنُّ؟ ماذا تعني بذلك؟ كنتُ صغيراً . لم أعد أتذكرُ أنني
ملكتهما قط . أتذكرُ الألمَ ولا أتذكرهما» ، رد تالماجور .

«وماذا عنك يا بأكالبا؟ خُصِّيتَ بدورك» ، ساءله جانكوه ، الأكثرُ
غرابة في لونه بأرضِ كارووكشين ، فردَّ الخصيُّ الآخر ، ذو الوجه
المستدير الأجرَد : «لم أرْدهما ، على أية حال . ما الفائدةُ من خصيتين
تتمايلان ، وتتقارعان ، في بنطالي ، كلما ركضتُ؟ رأيتُ في بلاطِ
تِغْفُوتَكِينِ شاه ما لا يقدر حاملُ خصيتين أن يراه . أكلتُ ما لم يأكله
حاملُ خصيتين . تأملتُ » مجرداً من براعة الصُّفْنِ في تدبير المآزق
للكاملين مثلكم ، عقولاً تدخل وتخرج من بلاطِ تِغْفُوتَكِينِ شاه

منكشفةً على خيالي كوجوهكم . كلّمتمني النساء ، عن أحوالهنّ ، بما لا يكلمن به رجلاً . من غير خصيتين يستطيع المرءُ تدريب الحيل على نقاء مدّهش ، وأن يتأوّل الخطّط بما يحتمل ظاهرها وباطنها . الخصيةُ حجابٌ لا يراه إلا مثلي ، ومثل تالماجور .

«كيف تعرف أنها حجاب ، ولم تبلغ بخصيتيك سريرَ امرأة؟» ، ساءله جانكوه .

«مُدّ عرفتُ الرجال ، الذين لم يفقدوا خُصاهم» ، ردّ باكالبا .

قرع جانكوه الأمهق براحته على صدر معطفه الجلد متأسّفاً :

«ماذا فعلتُ بك أمك ، يا باكالبا؟ خصيةٌ واحدةٌ ، ترقُ متعةً في سرير امرأة ، عندها من علوم أمثالك رِقاعٌ تُقرأ تسعة عشر جيلاً» ، قال ذو اللون المتدلّي عنباً غريباً في دالية لون الإنسان .

أبدى بالبور القصير ، المعروق جداً ، الضيق العينين جداً ، استياءً وهو يشدّ خطّامَ جملة ليوقفه : «دعونا من الخُصى ، ياعقلاء الصّدوع . في أعمارنا تذبّل الخُصى كبعرة الماعز بين أرجل الخنفساء . كم هي أعمارنا؟» ساءلهم بعينيه المختبتتين في ثلّمين معتمين .

«أتريد معرفتها بدورات الشمس ، أم الأقمار؟ أم بعدد الرياح المكتملة العزيف؟» ، ردّ تاهشين .

«بأي شيء ، إلا بالتدرّج الواضح لخصاكم بين العافية الهاربة ، والذبول المسيطر . أروني شيئاً آخر غير خُصاكم» ، قال بالبور ، فساءله بيغون :

— ماذا تأملُ أن نريك؟

«البشر الأولى في سهوب كاروكشين» ، قال بالبور .

«إنني أراها بعيني جَملي . كم غروباً قطعنا من السهوب؟

خمسة ؛ ستة؟» ، تساءل تالماجور الأعرج .
«بل أربعة» ، ردّ بالبور مُحْتدِماً وقد توقّف . «أرى خَلْلاً في سَيْرنا
إن كنت لا تعرف ، أيها الدليل تالماجور ، كم غروباً قَطَعْنَا في سهوب
كاروكشين» .

«لقد كَبُرَ تالماجور ، يا بالبور ، فاعذُرْهُ» ، قال تاهشين ذو القبعة
اللبود .

«أنتَ دليلُنَا ، أيضاً ، ياتاهشين . ألا ترى خَلْلاً في سَيْرنا؟» ،
ساءله بالبور الغارق في معطفه الواسع ، فردّ تاهشين بلسان المِراوغ
العابث :

— لم أعبر السهوب صوبَ جبالَ كاكونتْ منذ سبعِ رياحٍ مكتملةِ
العزيف . كلُّما كَبُرَ الأدْلَاءُ ، وشاخوا ، يا بالبور العزيز ، غَدَتِ المسافَةُ
أكثرَ فتوَةً : تتمطَّى ؛ تُضَاعِفُ نَفْسَهَا ؛ يلدُّ من الشَّبَرِ الواحدِ خمسةُ
أشبار .

«أتعني أننا على حافةٍ تيه ، الآن؟» ساءله بالبور .
«ليس بعدُ . ليس بعدُ . لم تشخْ رِثَيَايَ . أشمُ رائحةَ دلوٍ من
جلد ، يا بالبور» ، ردّ تاهشين .

هَزَّتِ الجِمالُ السَّتَّةُ رُؤُوسَهَا من وراءِ أكتافِ السَّتَّةِ الأنفار .
اجتَرَّتْ ، في ثقةٍ بالقَدَمِ المُعْشِبِ ، وَرَقاً أزرقَ التَّقَمُّتِ من يدِ المغيّبِ
الجديدِ في سهوبِ كاروكشين .

Bagarmossen

«لماذا تحاولين أن تشبهيني ، ياعزيزتي سآرها؟» ، قالت ميريمًا مستنكرةً ، بكلمات عجولة ، متزاحمة . أردفت بلا توقف : «منذ أكثر من أربعين سنة!!!» .

لم تنطق سآرها ، القصيرة الممتلئة . أبقت نظرها على اللوح المضاء ، المعلن ، في لغة ذهبية ، قدوم القطار . عادت ميريمًا ، المتجاوزة عقدها الخامس ، إلى استنزاف الكلمات بشفرة لسانها العجول : «هل اشترينا من المتجر كل ما نحتاجه للعشاء؟ دائماً ننسى شيئاً» .

تحسست سآرها الحقيبة المنتفخة ، المستطيلة ، ذات العجلتين ، بيدها : «أعلي أن أفتحها ، وأقارن ما فيها بالقائمة الطويلة لمشترياتنا ، يا ميريمًا؟ لا أظننا نسينا شيئاً . لا تقلقي» ، قالت بصوت هادئ انعكس رمادياً على شعرها الرمادي ، القصير ، المستسلم لحرية لونه .

«تحاولين أن تشبهيني بكل حركة فيك ؛ بكل أصباغ وجهك ؛ بتسريحة شعرك ؛ بثيابك» ، قالت ميريمًا ، ذات الشعر المفرط الحمرة من شدة صبغته . مدت يدها إلى الحقيبة الواقفة على عجلتين . استخلصت مقبض الحقيبة من راحة سآرها . «أظنك تعمدت نسيان شيء ما من لوازم العشاء» ، قالت متشككةً .

في هدوء ، ودعة ، أسلمت سارها الحقيبة إلى ميرىما ، التي رفعت عنها غطاءها ، وانكبّت تستخرج أكياساً تصفّوها على مقعد لصق الجدار جلس عليه رجل أسود . نهض الرجل . وصل القطار . اندلقت من جوفه سطور الأحياء ، المدوّنة بحروف الوجود المعتكرة المزاج . «ستفوتنا المقطورة» ، قالت سارها بصوت خامل ، فردت ميرىما ، وهي ماضية في استخراج ما امتلأ به جوف الحقيبة : «لن نغادر قبل أن أحصى ما اشتريناه ، وفق عدد الحوائج في القائمة . انظري» . رفعت ورقة مستطيلة إلى وجه سارها : «سبع وعشرون مادة مدوّنة هنا . غدّي ، أنت ، ما أضعه على المقعد» . رمتها : «لن أغادر حتى أتأكد ياسارها ، ولو استغرقني الوقت ففاتني آخر قطار يعبر نفق باغرموسين» .

لم تبد سارها تعقيباً . بدأت تُحصي الأكياس ، واللفائف : خضار ، أجبان ، خبز ، مناديل ورق ، لحوم شتى ؛ مثلجات من قشدة حلوى . توقفت ميرىما : «شيء من التبرّج في وجهك لا يشبه تبرّجي اليوم» ، قالت مقتربة بوجهها من وجه صاحبها الكسولة العينين ، فردت سارها : «ستجعليني أخطيء العدّ ، ياميرىما» . «أخطئي العدّ . ستعمدّين أن تخطئي العدّ ، يا صرّتي العجوز» ، قالت ميرىما .

«أنا أصغر منك بسنتين ، ياميرىما . أنا في الثالثة والخمسين» ، ردت سارها في هدوء .

«لولم تكوني في الثالثة والخمسين ، ما كنت في الخامسة والخمسين . أنت تجعليني عجوزاً منذ صرّت عجوزاً ياسارها» ، قالت السريعة الكلام ، ذات الشعر المتقدّ حمرة .

نظرت إليها سارها في كسلٍ وديع . لم تفهم في الأرجح
مكاشفات ضررتها . نطقت : «عزيزتي ميرما ، أنا لا أشبهك في شيء .
لا أتشبه بك في شيء . أنا ممتلئة ، قصيرة ، وأنت طويلة ، معتدلة
القوام . شعري قصير رمادي ، وشعرك طويل ، أجعد ، أحمر . أنت
سمراء ، وأنا بيضاء . أنفي أفطس قليلاً ، وأنفك مُحدّب قليلاً . لا
أصباغ على وجهي غيرُ هذا الظلّ الخفيف الزرقة على جفني
العلوين ، أما وجهك فقوسُ قزح . لك خمسة أولاد ، ولي أربعة .
تزوَّجتُ يالؤه بعدك بسنة » .

احتدمت ميرما : «لماذا تزوّجتِ زوجي تحديداً ، ياسارها؟ . كانت
تلك بداية تشبّهك بي ، قبل أربعين سنة . كنتُ صغيرةً فأغوَّيتِ
يالؤه» .

«كنتُ أصغر منك ، لا أحسنُ إغواء رجل . أنت حرّضتِه ،
ياميرما . كنا صديقتين ، تتباهَيْنَ أمامه بامتلاكِي أجملِ فخزين في
أرخبيل بحرِ نُوثايل - بحر ستوكهولم ، مدينة الظلّ المُعلّق . لماذا
تباهيتِ ، طويلاً ، بفخذي ، ياميرما؟» ، قالت سارها ، رافعةً بصرها إلى
اللوح النوراني ، المنتعش بمديح الأرقام : «سيفوتنا القطار القادم ،
أيضاً» ، تمتمت مستسلمةً لخريفِ يديّ ضررتها الماضية في استخراج
الأكياس ، واللفائف .

«إبدأيْ ضبْطَ المشتريات ، مادةً مادةً ، وفق القائمة . إبدأيْ» ،
قالت ميرما ، فردت سارها : «سأبدأ حين تعيدنيها ، واحدةً واحدةً ،
إلى الحقيبة» .

توقفت ميرما : «من صنَّع قائمة المشتريات؟» ، تساءلت ، فردت
سارها :

- الجميع : إشمأثو . هِنْدَجِيرا . أَكِيلُونُ . بَارْسِيسُ . أَبِيرِم .
نُواهِين . يُوُش . لِيدَالِيا . سَالُومِيا . أولادك ، وأولادي ، ياميرِما ، وزوجنا
يَالُوه .

«أَتظنن أنهم سِيَحْضَرُون العشاءَ جميعاً ، ياسارها؟ إِبْنِي
بارسيسُ لن يكمل مَهْمَتَه اليوم . لم يأخذ كفايةً من السهام» ، قالت
ميرِما .

«إلى متى سيطارد ابْنُك بارسيس ابني أكيلون؟» ، قالت سارها
بصوت قَدْرِي النبرة . فردت ميرِما : «الإخوة ، وحدهم ، يعرفون ذلك ،
ياسارها . نحن الأمهات سننتظر قدومهم إلى العشاء أشباحاً موتى ،
أو أحياء . ينبغي أن يكون العشاء مُتَقَنَ التدبير ، مُحْتَالاً في نكهته ،
فَحاً ؛ أن يكون عشاءً لائقاً بنبيٍّ جائع منذ أربعة أيام» .

«نبيٍّ جائع منذ أربعة أيام لن يجد فرقاً بين طعام نقصَ ملحُه ، أو
زَيْدٌ في ملحِه ، ياميرِما . سيأكل الملعقة» ، قالت سارها .

أومأت ميرِما بيدها إشارة بدء : «سأعيد المشتريات إلى الحقيبة .
عُدِّي» ، قالت . لم تُبَدِ سارها تواصلاً مع ضَرَّتْها . صرفتَ عينيها إلى
جدار النفق : «كيف سهوتُ عن هذه الرسوم ، ياميرِما؟ ألاحظت أنهم
غيروها؟ كَهْنَةُ الأنفاق يسابقون الزمنَ ، هذه السنة . تغييرات ،
وتغييرات فوق تغييرات» .

«كهنة الأنفاق؟!» ، ساءلَتْها ميرِما . «أيُّ كهنة؟» ، أضافتْ ،
فردتْ سارها :

- كهنة المدينة المَقَامِرَةِ بالفصول - ستوكهولم . الأنفاقُ في عُهْدَتِهِمْ
الآن .

« في عُهْدَةٍ مَن كانتِ الأنفاقُ » من قبل ، ياسارها؟ » ، ساءلَتْها

ميرىما ، فردت سارها :

- فى عهدة العداًئين .

حوّلت ميرىما بصرها عن ضرّتها صوبَ الرسوم وقد ترامت كأنها
ستُجاوز الجدران إلى الأدرّاج ، فالبوابة : كُثبانٌ من الرمال مقسّمة
بمقصّات اللون الذهبى ، وشفرات الظلال . عقلٌ رملٌ يستعرضُ
الأبعادَ بموهةٍ فى تدرّجها بين سكّون غناء ، وسكّون نشيج . رملٌ
خياطٌ . نحتٌ سائلٌ . عناقُ الأزلى للأزلى مناراً على ركبتيه أمام
الصدوع الكبيرة فى سور نظامه . مكانسُ ظلالٍ تجمعُ فهقهات الخالد
من أزقة الثور ، بين الكُثبان . مُنحنيّاتٌ صغيرةٌ ترضعُ الحفى من أئداء
المنحنيّات الكبيرة . أمواجٌ مروّضةٌ بوهقِ السكّون الدليل مصغياً إلى
المهجور . وثمّت ، فى المستور الظاهر للكُثبان ، ريحٌ قلّقٌ تنهياً ، بحذرٍ
وحِزْصٍ عريقين ، كي تعيد اللونَ إلى معركته الأولى فى مزجِ
الأشكالِ - معركةِ الهباءِ الأنيق .

«أليست هذه الرسوم ثقيلةٌ على الحائط؟» ، تمتت ميرىما بلسانها
العجول ، فحدّقت سارها إلى قائمة المشتريات كي تبدأ إحصاءَ
الحوائج : «الرملُ روحٌ . الأرواحُ خفيفةٌ عادةً» ، قالت .

«أظنك وزّنتِ روحك على الميزان الضوئى» ، قالت ميرىما .

«روحى؟!» ، غمغمت سارها متسائلةً باستغرابٍ ناعم . حكّت

صدغها الأيمن :

- أهما جادّان ، أبيريم ونواهين ، فى ما قالاه .

«تعنين ماقالاه عن الضيّف؟» ، ساءلتها ميرىما .

«سيدعوان نبياً إلى العشاء . ذلك ماقالاه» ، تمتت سارها .

«هما جادّان عادةً . سيحضّر نبيٌّ فى الأرجح» ، ردت ميرىما .

مدتُ يدها إلى يد سارها الممسكة بقائمة المشتريات : «إبدأي العدَّ .
أحسُّ دغدغةً في باطن قدميَّ : إنه قضيب القطار القادم» ، قالت .
أعادتُ كيسين إلى الحقيبة . توقفتُ :
- ماذا يُشبهُ أن نتناولَ العشاءَ مع نبيٍّ؟ .

خيالُ شحاذ

أناخ الستةُ الأنفازُ جمالهم . خاطبوها بعلامات الصوت المرتبة
نُظماً في خيال الحيوان فتَنَوَّختْ . نزلوا عن البرادع الجلد ذوات الخروم
النقوش . عقلوا سيقانها المضمومة ، فوق مفاصل الركبات . أطنبوا في
الثناء على المجهول الحَصيف ، مبدّد الشبهات عن المعلوم . رمّموا
حمدهم الناقص للحياة ، في اليوم السادس من عبورهم سهوب
كاروكشين - سهوب الشروق الأرضي على الشمس . لمسوا بأيديهم
الطوق الحجر حول البئر الأولى ، مجدّدين عهد الإنسان الأزلي لنبوة
الماء .

كان الستةُ الأنفازُ ، وجمالهم الستةُ ذوات السنامين ، بكورة قوافل
الربيع ، المتجهة إلى دساكر إقليم مُودابُورُك ، وراء صحراء لوكهين .
حملوا معهم أجربة من المسك ، والكافور ، والعنبر ، وحَقْنين أَحْكَمَ
سَدُّهما ، يحويان حفنة من شذور الذهب نقيّة ، ملتَمِسَيْن أن يقايضوا
بها بزور المعاني المدوّنة حروفاً ، ورسوماً ، في رقاع العارفين هناك
فيستنسخوها ، وأن يحصلوا على رقعة شطرنج وحجارتها .

لم يسقوا جمالهم من البئر الأولى إلا سَقِيَا خفيفاً ، بالدلو الذي
فكّوه عن شَطْنِهِ ، وهي موثقة الركبات . أنزل كلُّ منهم خُرْجه وبرْدَعته

عن ظهر جملة . أراحوا الظهيرة من ثقل الصور في السرد الصامت
للحيوان . أوقدوا ناراً من هشيم الشجر والنبات القديم . وضعوا في
الجمر رقاقة من حجر الصوان - حجر الفدية .

حمي الحجر . توهج ، أو كاد .

دحوا على الرقاقة الحجر المتوهجة عجيناً اتخذوه من طحينهم
الممزوج بشحم مفروم .

أكلوا أرغفتهم الصغيرة مؤرقة من رعونة الدسم فيها .

تمددوا على العشب القزم ، متكئين على البرادع .

أنجزوا ، بعيون نصف مغمضة ، رسوم الكمال الصغير حافياً في

سرير من رمل .

«ما القراءة ، يا بيغون؟» سأل باكالبا زميله المتمدد إلى جواره .

«القراءة هي تجديد الولاء الكتابة للخطأ» ، رد بيغون ذو اللحية

المجدولة خيطاً طويلاً في ذقنه .

«أؤوة ..» ، تتم باكالبا السمين . أردف : «ظننتُها شيئاً آخر» ،

فوافق بيغون بلسان التورية المتلبدة :

- نعم . إنها شيء آخر غير الذي قلته . القراءة خطأ مقصود

للتستر على خطأ المعنى المقصود .

كسر بالبور القصير غوداً في يده ، مُلفتاً سمع صحابه إليه :

- أنت تخطئ ، يا بيغون . الكتابة هي تجديد الولاء للخطأ . الكتابة

خطأ مقصود للتستر على معنى لم يُخسَم رسمه كلباً .

ضحك تالماجور الأعرج ، المختبئ العينين : «أترسم المعاني ، أبداً ،

على صورة كلب؟» .

«هذا ما أعتقد» ، قال بالبور . «الكلب يلهث أبداً

كالمعنى». أضاف: «ربما للمعنى صوراً أخرى في علوم المفضلين منذ اخترعوا حروفهم». وخزّ قدم تالماجور بقدمه: «ماذا تشبه الحروف؟ أنت لا تقرأ، لكنك ترى».

حكّ تالماجور فخذ ساقه الأكثر قصرًا من الأخرى: «إنها تشبه ماتشبهه بحسب أحوال عيني في الرؤية».

«بل تشبه الخوف، يادليل الملح»، قال بالبور.

«لماذا تسميني دليل الملح؟»، قال تالماجور، رافعاً رأسه عن بردعة جمّله.

«لأنك تزيد مقادير الملح في كلماتك»، ردّ بالبور.

«أأنت تماحكني؟ سألتني ماذا تشبه الحروف، ولم تسألني عن طعمها»، قال تالماجور ممتعضاً، فردّ بالبور:

— سيّان أن تراها، أو تتذوقها. هي كالخوف.

«دعك من استثارة تالماجور، يا قارئ الخوف بالبور»، قال تاهشين ذو القبة اللبود، المائلة إلى جهة من رأسه. «أنا لست بقارئ. لكنني أزعّم أن الحروف خصائصٌ تسعّ هي ذاتها خصائصٌ مهنتي ومهنة تالماجور. نحن دليلان، نحسب كل مرتبة في تصنيف الأرض على رقم من أرقام الأمل، والقلق، والحيلة، والكمال، والعبث، والدعابة، والتلفيق، والإشكال، والخاتمة. إن كان من حرف يخرج عن هذه المراتب فهو حرفٌ تائه».

«ماذا تقول، أنت، ياباكالبا؟» سأله بالبور، الضيق الأجفان كأنما

هي ملتصقة، فردّ السمين، ذو الوجه المستدير الأجرد:

— لا تهمني، كمرشد في مذاهب الشطرنج، ودينه، نوازعُ

الحروف، أيها المغتلمان في نكاح القراءة بيغون، وبالبور. النظم، في

رقعة شطرنج ، تتسع لثلاثين ألف أمة من أم البُعد الأوسط من صحراء الحجر . يندَق واحدٌ يستطيع خطفَ السماء فوق كاروكشين . إنتبها لرقاعكما . قد تأكلها يرابيعُ السهوب .

تلمس كل من بيغون ، وبالبور ، الرقاع الجلدة - اللفائف محزومة في خُرْجيهما . سبعُ رقاع في خُرْج بيغون . سبعُ في خُرْج بالبور . جلودٌ لينة ، ملساء ، ثماني أقدام طولاً ، وخمسُ عرضاً للرقعة الواحدة ، سينسخ عليها الرجلان كتاب «التمويه على الأقدار المعلومة» ، من أسواق الكتبة في إقليم مودابورك . لقد بوغت بيغون ، وبالبور ، حقاً ، بفكرة أن تقضم اليرابيع رقاعهما . لكنهما استدركا ركاكة ذلك : مامنٌ يُربوع أكلَ جلدًا في كاروكشين .

مال بيغون على جنبه موجهًا باكالبا : «ما الشطرنج ، يابن راعيز؟» .

«لا تذكر اسمَ أمي ، يابن طويلة البظر» ، ردَّ باكالبا مستاءً .

«أليست هي التي جبتُ خصيتيك بِمَشَقَصها ، لتأخذك خادماً إلى حريم تيفوتكين شاه ، مثل تالماجور؟» ، ساءله بيغون مُستخفاً باستياء باكالبا . فانبرى الرجلُ السمين جالساً ، محدقاً في غضب إلى بيغون : «سأكلُ لسانك . احذرنِي» ، قال .

ضحك بيغون فتراقص شارباه حول زاويتي فمه . تحسَّس بيديه الأرض من حوله : «أين زقُ العلوم؟» ، قال ، فوضع جانكوه الأمهقُ زقَّ خمر حليب الخيل في يد صاحبه .

«ما الشطرنج؟» ، كرر بيغون سؤاله إلى باكالبا ، وهو يقرب فم الزق من فمه ، فرد باكالبا :

– الاحتكام إلى اللامتوازن . التبعية للغضب . اللانجاة . دخولٌ

إلى الحصار بلا أمل للخروج منه . الشطرنج إقامة في المهجور ، الذي لا تعرفه حروفك اللقيطة ، يابغون .

« ماعلوم الكلام هذه ، التي تتجاذبانها كعصعص الشاة ، ياباكالبا ، وببغون؟ خففاً عنا جرعات حسائكما الحامض . قلباكما حامضان » ، قال جانكوه مغمض العينين ، مهوماً بروحه ، المستلقية مثله على العشب ، في مضائق السماء .

« هيه .. جانكوه » ، تتم تاهشين منادياً صاحبه الأمهق . « لماذا أتخذت الرسم مهنة؟ » ، قال .

« كي أضلل اللون » ، رد جانكوه . أضاف : « كي أقامر بالأشكال » .

« ضد من تقامر؟ » ، ساءله تاهشين .

« ضدّي » ، رد جانكوه . أضاف : « الرسم شجار بين الأصل والنسخ ، يخسر فيه الاثنان شوقهما إلى الوحدة . الأصل ، ورسم الأصل ، يسرق أحدهما من الآخر براعة تعطيل الصفات » .

« أهذا هو الرسم ، ياجانكوه؟ أعلي أن أفكر بما قلتة كلما نظرت إلى رسم؟ لن يكون لرسم معنى ، إذا ، لأنني لن أتذكر كلمة واحدة من كلماتك » ، قال تاهشين . هز رأسه استخفافاً بتوريات صاحبه الأمهق : « أعرف الرسم أكثر منك » .

« حقاً؟ » تتم جانكوه متسائلاً : « أيستدرجك النظر إلى الرسوم إلى اعتراف؟ » .

« اعتراف بماذا؟ هل أكثرت من مُساررة زق العلوم؟ » ، قال تاهشين . ثبت عينيه المختبئتين وراء حجاب أجفانهما على صاحبه : « بم تعترف أنت؟ » .

«لا أريد أن أكون سيِّداً ، بل أن يكون لي سيِّدٌ مُحْتَمَلٌ» ، ردَّ جانكوه .

«أرني عقلك» ، قال تاهشين . «هي» تتم .

«ماذا؟» ، ساءله جانكوه عائداً إلى تهويته .

«أرنيه لأرى إن كان يملأ قبضتي كهذا الزبيب» ، قال تاهشين ، فناداه بالبور القصير : «عُدْ إلى خيالك الشحاذ ، ياتاهشين . تسوِّلُ بخيالك حقيقةً تُنسِيكَ عقوقَ الحروف» . أرخى قُبْعَتَه الجلد على وجهه في استلقائه . همس : «فلنسكُ قليلاً ، يا أبناء كاروكشين . جعتُ من كثرة ثرواتكم . أعطوني صمتكم أَكُلُهُ مِمَّا لِلسُّكَّر ، الذي فيه . أسقوني صمتكم مُخْتَمِراً . أسكروني . أغلقوا عليَّ . .» .

قاطعه بيغون : «توقَّفْ ، بحقَّ هذه الظهيرة عليك ؛ بحقَّ هذه البئر عليك ، يابالبور . تريدُ صمتاً وأنت تطحننا برعد لسانك الهامس» .

غمغموا ، جميعاً ، أنصافَ كلمات ذائبةً . أعادوا التحديقَ ، بعيون لا تُرى حَدَقَاتُهَا ، إلى الأزل - مرَّهمِ صورِ زهر البابونج على وشاحه الحريري .

Slussen

قذف شابٌ بنفسه قَذْفاً من باب إحدى المقطورات ، لما توقف القطارُ في نفق محطة سُلُوسِن . وضع سهماً في وتر قوسِه المعقدة الصُّنع - قوسِ المحترفين في مسابقات الرمي بالسهم . الذين نزلوا من القطار أصيبوا بالهلع ، فتدافعوا مُستنجدينَ ببراعة المصادفات ، وحظوظ التَّأجيل ، كي تخرج بهم عن خط التسديد الواصل بين عينيَّ الشاب ، ونصل السهم ، والهدف اللامنظور . رجلٌ طويلٌ ، ذو سُمْرة من بذور شمس الصيف وزيتها ، قذف بنفسه ، أيضاً ، من إحدى المقطورات ، مختلطاً بالجمْع المصعوق من فظاظة اللعبة اللامُحْتَمَلة . انحنى إلى الخلف بجذعه . شَهَقَ السهمُ المقدوف . نفثَ عويلاً خافتاً حين صدم النصلُ الإطارَ المطاطيَّ لنافذة المقطورة ، وانغرز فيه عميقاً . رنَّ الغضبُ في معدنِه . ركض الرجل إلى الجهة الأخرى من الجدار ، الفاصل بين سِكِّتي القطارات المتعاكسة في عبورها . التصق بالجدار . ابتعد عنه المنتظرون في النفق . تفرَّقوا مضطربين . برز الشاب القصير ، ذو القبعة المُسدلة الحواف على أذنيه . استلَّ سهماً جديداً من جعبته المتدلية الحزام من عاتقه . فوَّقه في الوتر ، وشدَّه . رفع الرجلُ الطويل ، الأسمر البشرة من وَبَرِ الشمس ،

يده يستمهل مُطَارِدَه : «الآلهة غائبة اليوم ، يا بارسييس» ، قال لاهثاً .
«لا يُهمني . سهمي لن يخطيء» ، ردّ الشاب ، ذو العينين
المتفرّستين من خلف نظارته . اقترب أكثر من الرجل شبه المستسلم .
«أين تريدني أن أضع سهمي من جسدك ، يا أكيلون؟» . فردّ الرجل
البالغ منتصف العقد الرابع من عمره : «كم مرّة عليّ أن أصحّ خيال
سهمك ، يا أخي بارسييس؟ أطلق السهم على عظام الرّصفة في ركبتَي
اليسرى» . غمز الشاب : «الآلهة غائبة اليوم . ألا تشمّ ذلك بأنف
الذئب الذي فيك؟» .

«ماذا تقترح ، إذا؟» ، ساءله بارسييس ذو القوس المَفوّقة الوترِ بسهمٍ
يهتزّ شهوةً .
«أقترح أن تبقى غائبة» ، رد أكيلون ، حامل وِبَر الشمس تحت
بَشَرته .

«لكنها ستحضر عمّا قليل . الآلهة لا تغيب طويلاً ، يا أكيلون» ،
قال بارسييس متقدّماً أكثر ، بحذر ، صوب أخيه .
وضع أكيلون يديه في جيبيّ معطفه الطويل ، الداكن الزرقة :
«ستحضر بعد فوات الأوان» ، قال مبتسماً في رضى غامر .
«أيّ فوات للأوان تعني؟» ، ساءله بارسييس ، فرد أكيلون :
- تظنّ الآلهة أنني سأقتل إذ تغيبُ ، وتُفاجأ أنني نجوت إذ تحضرُ .
لم يُصنع - بعد - السهمُ ، الذي سيقتلني .
«لماذا تهرب مني ، إذا ، نفقاً بعد آخر؟» ، ساءله بارسييس .

«لم تفهم بعد يا أخي . لا أهرب من سهمك ، بل من الكلمات
التي ستصف خيبتك» ، قال أكيلون .
برزت وجوه من منافذ الجدار الفاصل بين السكّتين المتعاكستين ،

ومن جهتيه القريبتين من الأدراج الآلية . الذين تفرقوا مذعورين من اقتحام شخصين للمشهد في مطاردة تُخلُ بتوازن يومهم ، عادوا فتجمعوا على حذر ، يسددون بصرَ فضولهم إلى توريات الأخوين ، ويُصغون بأذان دَهْشَهم إلى الوتر المشدود كَنَفَسٍ بعد قُبلة ، وإلى السهم الناطق بمديح القتل . بعضهم تجرأً فجاوَزَ الجدارَ إلى الرصيف مكشواً بجسده كله في مرمى الفضاء الواحد ، الجامع بين رسوم النفق السوداء والأخوين في وقتتهما المحبوكَة كعبث .

«أية كلمات ؛ أية خيبة؟» ، ساءل بارسييس أخاه .

«كلماتي ، التي سأخذها معي إلى البيت ، مُنْهَكَةٌ من عذوبة غموضها . هناك سأُصفُ هذه الرسوم» ، قال أكيلون ، مشيراً بإصبعه إلى الجدار قبالتهما . «لقد رَمَمُوا الرسوم القديمة على نحوٍ باتت تشبه خيبتك» .

«خييتي مم؟» ، صرخ بارسييس متقدماً شبراً صوب أخيه بالسهم المتوَعَّد . هزَّ أكيلون رأسه مبدئاً حناناً من عينيه : «من كلماتي المنتصبة على حافة المعنى» .

«لماذا تهرب من كلماتك المنهارة ، لا مِنْ سَهْمِي؟» ، ساءله بارسييس .

«لم أقل إنها منهارة ، بل على الحافة . وجودك ، يا أخي بارسييس ، متشبثٌ بثياب كلماتي . إذا تمزَّقت ثيابُها ، وهي على الحافة ، ستنهأ أنت . كلماتي كلماتٌ وجودك على الحافة ؛ وجودك وجودٌ كلماتي على الحافة . كلماتي خيبتك ، التي سأُصف بها على العشاء ، اليوم ، هذه الرسوم ، أمام أبي - ميزان العائلة المقسومة على أُمِّين . انظر» ، قال أكيلون مشيراً بوجهه إلى الرسوم قبالتهما . أرخى بارسييس وتره .

حدّق إلى العربات السوداء تجرّها ، على طُرُق اللون السوداء ، جيادٌ
سُودٌ . هياكل متداخلة ؛ متصادمة في الأرجح ، لا تفصل أجزاءها إلا
خطوطٌ صفراء ، خجولة ، حول العَجَلات . كتلةٌ شبه كتيمة من سواد
مشدود ، على جدار النفق ، كوتر سيرمي ، في أيما برهة ، سهم
الخلائق المحتجبة في بلورات الأصل الأول - بلورات الصوت الأسود ،
السيد ، مُلقنُ المنشدين سخاء الطبائع الصامته .

«لونُ تائه» ، تتمم بارسيس ، البالغ السابعة والعشرين من عمره .

«لا . هولون يقود الشكل الخالص إلى الشك» ، رد أكيلون .

عاد بارسيس إلى شدّ وتره ثانية ، يسدّد نصل السهم إلى جبين
أخيه : «أترى ، كلّما أُلجأتُك إلى رُكن ، أو موضع ، لا نجاة لك من
سهمي فيه ، عمَدت إلى إسراف في توريّاتك الجامحة ، ونَحَت من
مشافهات المُلغز؟ لماذا أصغي إليك ، وأنا موقن أنك لا تخاطبني؟» .

«لأنك أخي» ، رد أكيلون ، وهو يرتّب حاجبيه بأصابعه ، فوق
أجفانه المنتفخة . أردف : «الأخوة سوءُ فهم . هكذا هي أبداً . الأخوة
نَفَقُ برسوم كرسوم هذه العربات والجياد» .

هزّ بارسيس رأسه مستاءً . تنفّس من رئة صبره النازف : «لن
أخطئك ، الآن» ، قال . فتح أكيلون ذراعيه متصنّعا الرغبة في
احتضان أخيه : «لن يخطئني سهمك حتى لو أطلقتَهُ عكس اتجاهي .
أنا امرأةٌ سهمك ؛ براعةٌ جدّاله في الهواء ؛ دَيْنُ النّصل المُرقّ كَرغبةٍ
في الفجر . لكنني لا أَقتل . لم يُصنع ، بعدُ ، السهم ، الذي يقتلني» .

«ولماذا تهرب مني ، إذا؟» ، ساءله بارسيس ، فردّ أكيلون وقد أُلوى
رأسه كالمُشفّق على أخيه : «سألتني هذا ، من قبل ، يا ابن أبي . لا
أهرب ، بل أجعل الأمر مشوّقا كوصفٍ بارعٍ للخيبة . إنني أختبرُ جرأة

خيالي عليّ - خيالي ، الذي هو سهمك» .
«لكنك تهرب» ، قال بارسييس بصوت مزبد ، ذي رنين .
تراجع أولئك الذين تجاسروا على التقدّم إلى الرصيف المكشوف
لسهم بارسييس . انكمشوا .

«أهربُ كي أتبعك» ، ردّ أكيلون .
اهتزّت أسسُ العَماءِ تحت أسس النفق . ضمّ القطارُ القادمُ
جناحيه الخفيين - جناحي الوقتِ المرقمِ بخصائص المنازعات . فُتِحَتْ
أبوابُ رثاته : خرجَ جَمْعٌ مع زفيره ؛ دخلَ جَمْعٌ مع شهيقه . ركض
أكيلون . تبعه بارسييس . تفرّق بعض الناس مذعورين من رؤية السهم
مضروباً . بلغ الأخوانِ الدرجَ الآليّ . صعداه وبينهما مسافةُ ستة أمتار .
التفت أكيلون من علياء الدرج إلى أخيه : «أعلينا أن نصل إلى العشاءِ
لاهثين؟ سنُجفِلُ العائلةَ» .

«لن يجفل أحدٌ من وصولنا لاهثين . النبيُّ القادمُ مُصْطَحِباً
بأخويننا أبيريم ، ونواهين ، إلى العشاء ، الليلة ، سيصل لاهثاً» .

قَسَمُ الطَّبَائِعِ

برز جبل كاكونتُ أكثر انحناءً ، بقممه العريقة الأربع ، صوب
الغرب ؛ رمادياً كروح ؛ أميناً للأعشاش الجليد ، التي لن يقدر ربيعُ
كاروكشين ، بدفته الخجول ، أن يخيف فراخَ الجليد الجائمة عليها .
نسورٌ جليدٌ ، بأجنحة من يقظة البياض الكبير ، ترقد فوق بيض
الروح الكبيرة في قمم كاكونت .

بيضٌ أبديٌّ .

فراخٌ أبديٌّ ، في الأعشاش الجليد .

أغمض الستة الأنفَارَ عيونَهم إذ ارتدَّتْ شعاعاتُ الشمس عن
الأعشاش الجليد إليهم . ظلُّوا جباههم بالأيدي فوق ظهور الجمال
يستبينون كمينَ البشر الثانية ، بعد ستة أيام على مغادرة البشر الأولى
في سهوب كاروكشين : «إنها ليست أبعدَ مما يقطعه أرنبٌ مذعور ، في
النصف الأول من الشوط هارباً» ، قال تالماجور .

خرج ابنُ أوى من ثني في الأرض ، عن بُعد تحصره العينُ .
استعرضَهم ببصر أعماقه . تجأهلم في هرولته المُطمئنَّة . مضى شرقاً .
«ماذا ترى في تحديقك إلى الشرق ، ياببيغون؟ لم يعدِ الحيوانُ
يُرى» ، قال جانكوه .

«أرى جدارَ ممالك زَانِهَيْنِغ الثلاث - جدارَ الممكناتِ المعلقة ،
ياجانكوه» ، رد بيغون . تتم : «إنه خلف اللون الثالث شرق سهوب
كاروكشين ؛ خلف اللون في الرسوم» ، قال ، مداعباً خيالَ جانكوه ،
الذي يحمل سبعَ رِقاَع من جلد الخيول البيضاء ليستنسخ عليها «ثقةَ
الملتبس» - كتابَ تبويبَ اللانهائيِّ رسوماً .

«أرأيتَ جدارَ زَانِهَيْنِغ الهائل ، ياببيغون؟» ، ساءله تاهشين . «زَعَمَ
بعضُهم أنك رأيته» ، أضاف .

«حفرتُ ثُقرةً في حجره بنصلِ المشقص . بَلَلْتُ سَبَّابَتِي بلساني
وتذوّقتُ بُرَادَتَه - بُرَادَةُ الحجر في جدارَ زَانِهَيْنِغ . طعمُهُ ذَاكِرَةٌ» ، قال
بيغون . «هذا جدارُ نبوءةٍ ، يروّضُ الجهات على الإيمان بعقل الخوف .
بلا خوف لا يكون الوجود ممكناً كمعجزةٍ ، ياتاهشين» .

«لماذا لا نبني جداراً حول كاروكشين؟» ، تساءل باكالبا ، فردَّ
بيغون :

- لدينا جبلٌ كاكونت . جبلٌ نبوءة .

«نبوءةٌ ماذا هو جبلٌ كاكونت؟» ، ساءله جانكوه ، فردَّ بيغون :

- نبوءةُ الريح .

«أكلُ شيءٍ نبوءةٌ شيءٍ آخر؟» ، سأل تاهشين .

«نعم ، ياتاهشين : الظلامُ نبوءةُ الصور . الطيرُ نبوءةُ المعقول . المعدنُ
نبوءةُ الحلمِ المتردّد» ، قال بيغون ، فقاطعه باكالبا :

- ظننتُ الحروفَ هي نبوءةُ الحلمِ المتردّد . أنت قلت ذلك من قبل ،
ياببيغون .

«ماالحلمُ المتردّد ، ياماعزَ أرضِ كاروكشين؟» ، تساءل تالماجور
سخرأً ، فردَّ بيغون :

- هو حلم لا يعرف ، تحديداً ، بأيّ سياق يبدأ في ترتيب التيه
لخيال النائم . حلمٌ متردّد حلمٌ واثقٌ من ذاته كحلم .
شدّ تاهشين وهَقَ جملة منتعشاً من محاورات اللسان المُشكِـل :
- أنت قويّ كظلام ، ياببيغون .
« بل أنت قويّ كخيّانة ، ياببيغون » ، قال باكالبا .
« قويّ كجوع » ، قال تالماجور .
« قويّ كيأس » ، قال بالبور .
« قويّ كبياض » ، قال جانكوه .
أرخبى تاهشين وهَقَ جملة : « أنت قويّ كإيمانٍ مخدولٍ ،
ياببيغون » ، قال .

« قويّ كقبر » ، قال باكالبا .
« قويّ كالوحدة » ، قال بالبور .
« قويّ كخيال لا يعثر على كلمات » ، قال جانكوه .
أوقف بيغون جملته . وجأً عنقه بعقب حذائه ، فاستناخ الجملُ
وبركَ تمتثلاً للصوت المقدير . « تضعونني في مأزق ، يا أبناء
كاروكشين » ، قال ملاطفاً .

« لماذا أقعدتَ جملك ؟ » ، ساءله جانكوه ، فردّ بيغون :
- أحسستُ قلبي في فراغ فوطأتُ الأرضَ بقدمي كي أسترجه .
« هل استرجعته ؟ » ، ساءله بالبور بمزحاً .
« استعدّته . قلبي نبوءة المأزق » ، قال بيغون . أضاف : « ذلك
يربحني . كلُّ مأزق هدنة » .

« ما النبوءة ، ياببيغون ؟ » ، ساءله تالماجور الأعرج ، فردّ بيغون :
- النبوءة قسَمُ الطبائع أن تظلّ على ولائها للمُحَيّر .

نثر تالماجور ، بغتة ، مديح قلبه - قلب الدليل الناطق بلسان الآثار
- على الأبد المختصر : «هاهي البثر الثانية» ، قال . أردف مبتسماً في
خيلاء : «إنني أرفعها بخطاف بصري إلى خطاطيف أبصاركم ، فلا
تُسقطوها» .

في اليوم السادس من مغادرتهم البثر الأولى حلوا أضيافاً على
البثر الثانية .

نزل الستة الأنفار عن برادع جمالهم بعد أن أقعدوها .
كعم كل جملة . لم يسقوها ماء . أبقوها عطشى ، مستعرة
الأجواف عطشاً ، مذ هيأتهم علوم الأدلاء أن السقي الأعظم للجمال
يكون من البثر الثالثة ، التي ليس بعدها إلا العبور من نفق في جبال
كاكونت إلى ريح الجفاف في صحراء لوكهين .
تزودوا من البثر بخيال النظم الرطبة - نظم الإقامة في الولاء
المخبي .

شربوا ماء . ملأوا أسقيتهم الجلود فانتفخت امتناناً .
بللوا رؤوس جمالهم ، معتذرين إلى أوبارها ، التي فاحت كفوح
الجفاف الحالم .

Huvudsta

«أعتقد أنني لم أعد أعرف كيف أكلّم أحداً ؛ كيف أنظر بطريقة عادية إلى أحد ؛ كيف أهدّق إلى المرأة من غير التوسّل إلى الظلام وإلى النور أن لا تكون ملامحي هي ذاتها . سأعبدُ أيّ شيء إذا أفقتُ صباحاً ووجدتُ نبرة صوتي مختلفة . سأؤمن بأيّ شيء مُحطّم ، أو ملتحم ، لو قدرتُ أن أستردّ نفسي من الوجود الواحاً رُخاماً رقيقةً أرصفها الواحد لصق الآخر ، على رمل ناعم ، وأرسم عليها ، بملقط حاجبي ، شكلاً آخر لي ، عضواً عضواً ، بتناسقٍ أو من دونه . أريد بعضَ الحقدِ في طباعي ؛ بعض الغضب في طباعي ؛ بعض المجازفة في طباعي . أريد أن أغلق الباب على الجميع ، وأمشي في تسعة اتجاهات في الوقت ذاته : شرق اللون ، وغرب اللون . شمال اللون . جنوب اللون . شمال شرق اللون . شمال غرب اللون . جنوب شرق اللون . جنوب غرب اللون» ، قالت هيدجيرا ، ذات الشعر السّبط ، المعقود إلى الخلف ، في نفس واحد .

«عدّدت ثمانين جهات» ، همست الفتاة ذات العينين الشرهتين ، الحزيتين ، الواقفة لصقها متكئة على الحائط .

«ثمانين جهات تغدو تسعاً إن أضفت إليها فرج أمّها» ، ردت

هيدجيرا .

«ماغيّرت شيئاً ، ياأختي . لكن سيكون اللون سعيداً ، في الأرجح ، إذا اعتبرت فرج أمه اتجاهاً» ، قالت الفتاة الممتلئة ، وهي تنقر بعقب حذاثها العالي على الرصيف .

مدّت يدها اليمنى تنفض قشرة شعرة عن كتف أختها : «أنت غاضبة كفايةً ، يا هيدجيرا . غضبك يكفي لنسف هذا النفق . ماذا يُغضبك؟» .

«هذا ليس غضباً» ، ردت هيدجيرا في معطفها الأخضر ، ذي الأزوار الكثيرة . «أنا إطراقة الإله على خطأ اقترفته سهواً» . فكرت قليلاً ، أو ادّعت ذلك : «أم أنا سهوة ، ياأختي سألوميا؟» .

«إن لم يكن هذا غضباً ، فماذا تسمينه؟» ، ساءلتها سالوميا ، ذات الثانية والعشرين ، فردت أختها :
- أسميه تمريناً على الغضب .

«ماذا ستصبحين إذا بلغ بك الحَذَقُ أن تصيري غضبي محترقة؟» ، ساءلتها سالوميا .

«أغدو أقرب إلى الإله» ، ردت هيدجيرا ، ابنة السادسة والعشرين . دارت بوجهها إلى ركن من الجدار قريب من المغبر إلى اللأدراج الآلية : «أهذا الرجل يرسمني؟» ، قالت هامسةً ، فالتفتت سالوميا إلى حيث تنظر أختها .

كان بصر الرجل الكهل ، ذي القبعة المضلعة الخواف ، يتردد بين هيدجيرا والورقة السمكة ، التي نصبها على حامل خشبي صغير ذي قوائم أمامه - هو الجالس ، كنحت إسمنت على كرسي مستدير ، لايعلو عن الأرض شبرين . تمتت سالوميا : «لم اعتقداًك أنه

يرسمك ، يا هيدجيرا؟» ، فتأقفت أختها مقطبةً جبينها فوق عينيها المائلة زرقتهما إلى صفرة : «لك عينان في قدميك ، ياسالوميا . قدماك لاتخطئان الجهة التي تريدن ، فيما يخطيء بصري قراءة حركة أكثر وضوحاً من اسم أمي سارها . ألا ترين الرجل ينقل وجهه بيني وبين اللوح أمامه؟» .

«رسامو الأنفاق لا يرسمون إلا من يدفع لهم» ، قالت سالوميا .
«رسامو الأنفاق؟! منذ متى ينزل رسامو الأرصفة ، والساحات ، إلى الأنفاق؟ أي متسع من الوقت أمام المغادرين من القطارات ، والداخلين إليها ، أو المنتظرين وصولها في دقائق ، كي ينجز لهم رسماً ، في هذا النفق ، رسماً؟ لن يكمل أكثر من رسم جبهة ، أو أذنين ، أو ابتسامة مرضوضة ، قبل أن يقفز صاحب الصورة إلى القطار القادم» ، قالت هيدجيرا .

«ربما يرسم الأشخاص على مراحل . اليوم جزء من الوجه ، يليه جزء آخر في اليوم التالي» ، تمتت سالوميا ، فصدمتها أختها كتفاً إلى كتف ، في رفق :
- أيقبض أجره على دفعات؟

«من يدفع ، حتى القليل ، قبل إنجاز الرسم؟ ربما يدفعون إذا أنجز» ، ردت سالوميا .

«اذهبي اسألينه ، كيف يجري الاتفاق على الدفع» ، قالت هيدجيرا ، وأخرجت علبة لفافات التبغ من جيبها ، سحبت لفافة .
«ماذا تفعلين؟» ، ساءلتها سالوميا مستنكرة .

«سأدخن» ، ردت هيدجيرا .

«ألا ترين الداخلين إلى النفق؟ ألا ترين بعض الواقفين على

الرصيف ، هناك؟ منذ متى تدخنين في أنفاق القطارات؟» ، ساءلتها سالوميا ، همساً ، بصوت متوعد ، فردت هيدجيرا :
- اذهبي اسألينه ، أو سأشعل لفاتي .

رفعت سالوميا كفها مفتوحة الأصابع في وجه أختها : «حسناً» ، قالت على مضض . استدارت ماشيةً باتجاه الرسام . تقدّمت خطوات . هبت ريح الخفيّ المعلوم على سنابل الحقل الدفين ، في الظلام الأعماق الدفين ، تحت أساسات نفق هوفودستّا . هسهستِ السنابلُ . توقفت سالوميا . دارت على عقبيها راجعةً . تقدم منتظرو القطار إلى الرصيف . رفعت هيدجيرا ذراعيها في استياء صارخ ، وهي ترى أختها عائدةً : «لماذا لم تسألني الرسامَ ماسألتكِ أن تسألينه؟» ، فردت سالوميا مندهشةً : «لا وقتَ . لقد وصل القطار ، يا أختي» .

«عودي إليه» ، قالت هيدجيرا بصوت معدنيّ النبر .
«والقطار؟!!!» ، ساءلتها سالوميا مصعوقةً ، فردت هيدجيرا بغضب عليه غيرةً السخرية :

- سأخترع قطاراً لك ولي ، وحدنا ، بعد أن تسألينه .
«إلهٌ ما ، فقدَ مفاتيح خزانته ، التي يستودعها الأرواحَ كفستق أفسدته الرطوبة ، هو الذي حلّ في لغتك اليوم» ، قالت سالوميا كأنما تنوح . عبثٌ خلط سطورَ المنطق عشواءَ على لوح قلبها . عبثٌ آخر رتبَ شَعْرهُ الأشعثَ وهو يتمرأى في زجاج نافذة القطار . ألقَ القطارُ . تهادتْ ذاتُ العينين الشرهتين المشوبتين بحزنٍ صوب الرسام الكهل ، المسترسل في نقل بصره بين الورقة وبين هيدجيرا . دارت من خلفه .
تمتم الرجل :

- الآلهةُ عصيانٌ لغويٌّ .

وقفت سالوميا متحيرةً لثلاث ثوانٍ مغمّسةً في خلّ السفرجل .
انتقلت من خلف ظهره إلى جانبه منحنيةً قليلاً تتأمل وجهه . نطق
الرجلُ ثانيةً : «ماذا ألهمَ الإله أن يخترع كل هذا الغضب إن لم يكن
غاضباً؟ تلك الفتاةُ إفراطٌ في وصف اللغة بالعصيان . لا اعتدالَ بلا
غضب» ، قال كنائم .

«تلك الفتاةُ أختي . ظننتُكَ ترسمُها» ، قالت سالوميا ، فردَّ
الكهل :

- الكل يظن ذلك .

«أنت توهمهم ، في الأرجح ، عن قصد ، بأنك ترسمهم . حركةٌ
بصرِكَ خدعةٌ غير مفهومة» ، قالت سالوميا . تراجعت عنه خطوةً .
رمقتهُ . عادتْ أدراجها إلى أختها : «ابن القحبة يرسم نفسه» .

«ماذا؟» ، ساءلتها هيدجيرا باستنكار واستغراب معاً . تفرقتِ
الخبيةُ في عينيها .

«أعتقد أنه يتكلم كما تتكلمين أنتِ ، وكما يتكلم أبي» ، قالت
سالوميا .

«ماذا تعنين؟» ، سألتها هيدجيرا ، فردتْ أختها :

- أعني حين يستعير أحدُكم لسانَ المهرج .

«لسان المهرج؟!» ، تمتت هيدجيرا مُبَعَثَرَةً حروفاً باردةً في أثلام
الهواء البارد . أخرجتْ علبةً تبغها من الحقيبة المتدلية من كتفها .
أشعلتْ لفافةً أمام بصر سالوميا المُستَهْجِن . قالت موبِخَةً : «لماذا
تحدِّقن إليّ هكذا؟» ، دارت بوجهها على جهات النفق : «مامنُ ابن
قحبة سيوقفني . سأستفدُ علبةً تبغي كُلَّها ، هنا ، اليوم» . أوقفتْ
بصرها على الرسام : «إنه يرسمني» .

«ألا ترين أنها حيلة مبتذلة؟ يتعمد أن يؤهم...»، قالت
سالوميا، فقاطعتها أختها :
- إنه يرسمني .

صمتت سالوميا . لم تُردِ المضي في ثرثرة تستدرج الأختين ،
بشغف ، إلى استثارة شهواتها . تمت هيدجيرا متسائلة :
- «أأنت تستسلمين؟» . ابتسمت : «أي كلام قاله ابن القحبة
يشبه ما أقول ، أو ما يقول أبي؟» .

ابتعدت سالوميا خطوات عن أختها . جلست على مقعد ذي
وميضٍ شرهٍ في حديدته الفضّي . بعضُ الذين تسرّبوا إلى النفق رمقوا
الدخان الشهواني حول وجه هيدجيرا بلا مبالاة مدربة على تفسير
الوقت كالموز . علّقوا خيالهم النعسان على أوراق القصب الطويلة
للرسم الجداري في نفق هُوفودستا - نفق الزيت المُعتَصِر من الظلال
الرطبة .

دحرج القطار الصوت الحديدي أمامه ضروعا تلتقط حلماتها أفواه
الصدى المائتة . تنشق المنتظرون فَوْحَ الحليب المعدن . نهضت سالوميا
متأهبة للصعود . هرعت إليها أختها . أمسكت بها من عضدها :
«فلننتظر القطار التالي» .

«لن أنتظر» ، ردت سالوميا ذات السترة القصيرة ، المنكشفة قليلاً
عن سُرَّتِها المزيّنة بحلقة ذهبية مغروزة في الجلد . ألقت أختها بعقب
لفافة التبغ أرضاً . مَعَسْتُهُ بحذاءها - حذاء الشتاء .

«أختي سالوميا» ، قالت هيدجيرا في حنان . «هؤلاء العابرون يجرون
القطارات بحبال من جلود الأسلاف . جلدك رقيق» . وضعت إصبعين
على سُرّة سالوميا . «جلد أسلافنا رقيق لا يصلح لجرّ ديك رومي» .

«عمّ تتحدّثين ، ياأختي هيدجيرا؟ أنا نفسي صرتُ أتمنّى لو أستعيدك من الوجود ألواحاً أرصفُها ، الواحد لصق الآخر ، من بيتنا في أرض الصباح الهرطوقي سكوغوس إلى مشارف جزيرة كريت ، ثم أعمدُ إلى رسم أعضائك رسماً حياً على كل لوح ، بمبرد أظافري . أريد أن أستعيدك أختاً مائيّة» ، قالت سالوميا . مالت هيدجيرا برأسها على وجه أختها : «من بيتنا في سكوغوس إلى مشارف كريت؟ لماذا جزيرة كريت؟» ، ساءلتها ، فردت سالوميا :

«سأتزوج في كريت . لا أعرف مَنْ . لم أزرّها بعد» .

أكمل القطارُ تدوين سطر حروفه أسفل ورقة في معجم النفق . أغلق أبوابه وانسلّ تحرّه أرواحُ اللهب البارد .

«لَمْ علينا أن ننتظر ، ياأختي؟» ، قالت سالوميا بصوتٍ مكسورٍ . شدّت أختها على عضدها مواسيةً : «لأجل هذا» .

نطقت هيدجيرا كلماتها تلك ثم تقدّمت إلى خندق سكة القطار . جلست على الحافة وهي تهم بالنزول إلى أسفل . أمسكت بها سالوميا :

- ماذا تفعلين ، أيتها الحمقاء؟ .

«سأجرّ بنفسي القطارَ القادم . سأجرّه بحزام حقيبةٍ كتفي هذه» ، قالت هيدجيرا وهي تشد قبضتها على الحزام الجلد البنيّ للحقيبة المنتفخة . «سأكلم الآلهة وأنا أجرّ القطار من نفق إلى نفق . أعطينا الآلهة لغةً تُسهّل عليها مخاطبتنا في كسل» . التفتت بوجهها عالياً إلى أختها ، من مجلسها على حافة الأخدود الأسود : «كيف وصلت الآلهة إلينا؟ أعطيناها مالم تنتظره منّا قط ، وسنظلّ نعطيها ما لا تنتظره . نحن مفاجآت لغوية بلا حدود» . نهضت . «آلهة كثيرة قرأتُ

سيرتي البارحة . آلهة جديدة في المهنة » ، قالت ، فهزئت سالوميا رأسها أسفاً : « ترددت علي ما يردده عليك كتاب حائر » .

« لم أجد كتاباً حائراً بعد ، يا أختي » ، ردت هيدجيرا . نظرت صوب الرسام الكهل : « سنعرف الآلهة ، على العشاء ، إلى نبي عجول ، هذا اليوم » .

« ستجفليْن النبي القادم إلى العشاء بسرِّ سيرة عقلك عليه ، يا أختي هيدجيرا » ، قالت سالوميا بلسان التأكيد ، فردت أختها :

- لن يكون لديه متسع من الوقت للإصغاء إليّ ، فاطمئني . سيتناول العشاء على عجل . الأنبياء عجولون . النبوة خطف للغة . بعد كل خطف يتعهد الأنبياء بإعادة اللغة إلينا مقابل فدية .

شدت سالوميا حواشي سترتها القصيرة لتغطي سرُّتها الظاهرة عارية في مجاز مُحكم من اللحم . تمتت : « ما الفدية ؟ » .

« نحن ، وهذا النفق » ، ردت هيدجيرا . مشت بتناقل نحو الرسام . دارت من وراء كتفيه تتأمل الرسم . أطالت النظر صامتة : « لماذا هذه الأخطاء كلها ؟ » ، قالت في همس .

توقفت الرجل الكهل عن الرسم بالقلم الرصاص . أبعد رأسه عن الورقة يتأملها بدوره . « أعطيني لفافة تبغ » ، قال بصوت نائم . « أشعلها لي » ، أردف قبل أن تصله اللفافة ، ألتى أشعلتها هيدجيرا بقداح رخيص من البلاستيك الأسود . نفخ الرجل الدخان من فمه أقواساً مكسورة ، وحروفاً تتداعب بأذيالها : « الخطأ غفران لغوي » ، قال .

انحنى هيدجيرا انحناءً خفيفةً على اللوح المنتصب أمام الرجل : « ترسمني على نحوٍ أغدو أقرب شَبهاً بك . كم من الزمن

تَتَبَّعْتَنِي؟ . دَرَبْتَ نَفْسَكَ طَوِيلًا عَلَى مَلَامِحِي حَتَّى صَرْتَ بَارِعًا فِي تَرْوِضِهَا لِلْهُوِ قَلَمَكَ اللَّصَّ ، وَوَرَقَتَكَ الْكَلْبَةَ . أَنْتَ تَجْرُدُ مَلَامِحِي قَشْرَةَ قَشْرَةً لَتَلْتَقِطَ شَيْئًا مَّا» . قَالَتْ بِلِسَانِ الرِّبَةِ ، فَرَدَ الْكَهْلُ :
- نَعَمْ . أُرِيدُ أَنْ أَلْتَقِطَ الظَّلَالَ الْأُولَى لِلخَطَأِ .

امْتَعْضَتْ هَيْدَجِيرًا . وَضَعَتْ رَاحَتَهَا عَلَى قِمَّةِ اللَّوْحِ الْخَشْبِيِّ -
لَوْحِ حَضَانَةِ الْبَيَاضِ لَتَفْرِخَ الْأَشْكَالَ فَقَسًّا فِي وَرَقِ الرَّسْمِ : «أَنَا خَطَأٌ؟ أَتُصَنِّفُنِي مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ الْخَطَأِ؟ أَمْ أَنَا مَرَاتِبُ الْخَطَأِ كُلِّهَا؟» .
رَفَعَ الرَّسَامُ وَجْهَهُ الْمَعْرُوقَ إِلَيْهَا . تَصَنَّعَ نَظْرَةَ الْمَعْتَذِرِ : «أَنْتِ خَطَأٌ هَذِهِ الْوَرَقَةُ ، وَصَوَابٌ هَذَا النِّفْقُ» .

«لِمَاذَا تَرَسَّمْنِي؟» ، قَالَتْ هَيْدَجِيرًا بِصَوْتٍ تَشْنُجٍ وَتَرَهُ ، فَرَدَ الْكَهْلُ :

- هَذَا جِزْءٌ أَوَّلُ مِنْكَ ، الْجِزْءُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَشْبِهُنِي .
«سَتَتَبَّعُنِي إِذَا كَيْي تَكْمَلُ الْأَجْزَاءَ الْآخَرَى مِنِّي . أَنْتِ تَتَبَّعُنِي» ،
قَالَتْ هَيْدَجِيرًا هَائِجَةً . هَرَعَتْ إِلَيْهَا أَخْتَهَا مَمْسُكَةً بِرُؤْسٍ مَعْطَفُهَا .
اقْتَرَبَتْ حَفْنَةً مِنَ الْقَادِمِينَ إِلَى النِّفْقِ مِنَ الْأَخْتَيْنِ وَالرَّسَامِ ، مَتَطَفِّلَتَيْنِ عَلَى الصَّخْبِ الْمُجْتَذِبِ . حَاوَلَتْ سَالُومِيَا أَنْ تُبْعِدَ أَخْتَهَا ، الَّتِي رَدَّدَتْ بِصَوْتٍ فِيهِ نَشِيجٌ : «لِمَاذَا يَرَسِّمُنِي؟» .

«لَا تَكُونِي مَجْنُونَةً . إِنَّهُ يَرَسِّمُ نَفْسَهُ» ، قَالَتْ سَالُومِيَا .
«أَهُوَ يَرَسِّمُ نَفْسَهُ يَا ابْنَةَ مِيرِيَمَا؟!!» ، صَرَخَتْ هَيْدَجِيرًا . «اقْتَرِبُوا» ،
قَالَتْ تَحْتَ الْمُقْتَرِبِينَ الْمُتَطَفِّلَيْنِ . «أَهُوَ يَرَسِّمُنِي أَمْ يَرَسِّمُ نَفْسَهُ؟» .

أَلْقَى الْمُجْتَمِعُونَ رِبْعَ حَلْقَةٍ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى الْوَرَقَةِ الْخَشْنَةِ ، الَّتِي عُجِنَ بَيَاضُهَا بِخُطُوطٍ مِنْ خَمَائِرِ مَلَامِحِ الرَّجُلِ الْكَهْلِ ، ثُمَّ رَفَعُوا أَبْصَارَهُمْ ، تِلْكَ ، إِلَى وَجْهِ هَيْدَجِيرَا مَرْمُوعَةٍ فِي طَحِينٍ مِنَ الْأَسْئَلَةِ .

مس الخذلان المرفوع من الأعين قلب الفتاة . تمعس قلبها .
«إنه يرسمني» ، قالت هيدجيرا صارخة . «في كل نفق يختلس
جزءاً من ملامحي ليضمه ، بموها ، إلى ملامحه» . استدارت إلى لوح
الرسام فقلبته بيدها . «منذ متى تتبعني ، يا ابن القحبة؟» .
جرت سالوميا أختها جرأً من ظهر معطفها . نهض الرسام ، في
هدوء ، عن كرسيه الصغير . تتمم :

«أنت تخونيني» .

«ماذا قال؟» ، ساءلت هيدجيرا أختها . كررت : «ماذا قال؟» .
حمل الرسام اللوح تحت إبطه . حمل الكرسي الصغير . حيأها
برأسه تحية المغادر : «النبى القادم إلى العشاء ليس عجولاً» .
جمدت هيدجيرا قليلاً . حدقت إلى وجه أختها تستنطق الخفي
السارح في عينيها الشرهتين الحزینتين . استدارت إلى الرسام : «من
إلهك؟» ، قالت ملء حنجرتها المبطنة برمل الصوت ، فلم تر الرجل
الكهل . وافدون كثر قدموا من جهة الأدراج بظلال زاحفة يجرها
وقتهم المروض كدلفين من نور . اتكأت هيدجيرا بكتفها إلى كتف
سالوميا . «أتعرفين منافع القصب؟» ، قالت ، وهي تتفحص الرسم
الجداري في نفق هوفودستا : أوراق سيوف ، ملتمة الخواف من ضياء
نثر عنوة عليها . غيوم مكسورة كحجارة مكسورة من منتصفها .
حشرات سرمان برتقالية ، مدسوسة في ثنايا الظلال . رسام (أو
رسامون) أتى بدغل قصب إلى النفق ، ناضجاً في اللون الناضج على
الجدار ، الذي نسي ذاكرته .

استعرض القطار القادم على الواقفين آيته الصاخبة . استنشقه
كدخان .

مسكوكاتُ الأفوايح

حلُّ باكالبا الرباطُ عن فم الجِرَابِ الجلدِ الصغير . أدخل أنفه فيه . شمّه حتى أغمي على رثتيه نشوةً . مرّر الجِرَابَ الجلدَ إلى صحابه ، واحداً واحداً : «أزوني صوراً من عِظَةِ المسك في عقولكم» ، قال .

نطق جانكوه متميلاً في جلسته :

- غزالٌ يصعد من قلبي إلى عيني . نوافجُ مسكٍ تتدحرج ، ملأى ، من اللون إلى الكلمات .

أغمض بالبور عينيه كأنما نفسَه بعد استنشاقِ فمِ الجِرَابِ . زفرَ طويلاً :

- غزالٌ محنةٌ في عقائدِ العِطر . المسكُ مجابهاتٌ .

تناول بيغون الجراب من يد بالبور . وضع أذنه على فم الجراب : «المسكُ يقيني البسيطُ أن غزالاً لم أره لن يراني . سنتقاسم الأمر ، أنا والغزال ، الذي أسمعُه راكضاً ، على هذا النحو : لم أره ؛ لم يرني . لكن ، لن تنجو ذاكرةُ أحدنا من الآخر» ، قال . شمَّ الكونَ المختَصِرَ عِطراً في وعاءِ المسك . وضع الجرابَ في يد تاهشين .

تنهَّد تاهشين . صعدَ حُرقةً كحرقَةِ العاشق من كبده إلى خياله :

- أنتم تؤلبون المسك عليّ ألبوا الغزال أيضاً .
«أيها الدم القياف» ، تتم تالما جور . «دم خشارة في سرّة الغزال
يمكن كل دم من عبوره عماء المسمومات» . تشق فم الجراب . تشبث
مافيه بما ليس فيه .

غلّق باكالبا فم جراب المسك . حلّ الرباط عن جراب العنبر .
وسّعه بأصابعه السمراء الخشنة . دس أنفه فيه : «يالهدير البحر» ،
قال . وضع الجراب في يد جانكوه . شم الرجل الأمهق فم الجراب :
- عقل ماء ، أم عقل برّ جمع للحيتان خمائر العطر الخالد في
أحشائها؟ حيتان عديدة ، لم يرها أهل كاروكشين ، تحسبني - الآن -
حوتاً . وأنا أحسدها على ذلك .

شم بالبور جراب العنبر . تناثر ذرات وتجمّع في شلّشال عطر :
- ما العنبر؟ ألهميني شيئاً يسهوب كاروكشين .
مرّر بيغون فم جراب العنبر ثلاثاً تحت أنفه . أنشد الأصل الهولي
في جوهر يغون نشيد الفوح :
- خمسة أشبار بيني وبين وجودي الأول - وجودي سماء مغمّسة
كالخبز في حساء البحر .

تنهّد تاهشين وهو يقرب عينه اليسرى من فم الجراب متلصّصاً
على مالا يرى .

- أزعّم أنني شأن من شؤون المغاليق ، وأحيا بلا رثتين . لقد
تنفّست ، من رثة هذا العنبر ، هواء يكفي كاروكشين ستة قرون .
«لا تنقذوني» ، تتم تالما جور حين استقرّ الجراب بين يديه . «لا
تنقذوني . حوت غمام فوق سهوب كاروكشين .» ، قال ثانية ، حين
شمّ العنبر .

غَلَّقَ بِاَكَالِبَا فَمَ جِرَابِ الْعَنْبَرِ بِرِبَاطِهِ . فَكَ الرِّبَاطُ عَنْ جِرَابِ
الْكَافُورِ . وَسَعَ فَمَ الْجِرَابِ الْجُلْدِ . شَمُّهُ : «شَطْرُنْجُ الْأَفَاوِيحِ» ، هَمَسَ
هَازِياً . مَدَّ الْجِرَابِ إِلَى جَانِكُوهِ .

«شَجَرَةُ الْمَازِقِ لَا تَتَشْمَرُ إِلَّا مَخَارِجَ . زَهْرُ مُغْضَلَةٍ ، وَرَحِيقُ حَلٍّ» ،
قَالَ الْأَمْهَقُ . مَدَّ الْجِرَابِ إِلَى بِالْبُورِ .

«عَطَّرَ سِيرَةً . مَآمَنَ عَطَرٍ يَسْتَكْمِلُ سِيرَتَهُ كَعَطَرٍ إِلَّا بِاقْتِبَاسٍ مِنْ
سِيرَةِ الْكَافُورِ» ، قَالَ بِالْبُورِ .

«أَتَمَّنَحُ شَجَرَةً كُلُّ هَذَا؟ : هَذَا فِي الْجُذُورِ . هَرَطَقَةٌ فِي الْأَوْرَاقِ .
نَبُوءَةٌ فِي الزَّهْرِ» ، قَالَ بِيغُونُ وَهُوَ يَبْعُدُ الْجِرَابَ عَنْ مَنْخَرِهِ ، سَاطِئاً بِهِ
فِي الْهَوَاءِ إِلَى تَاهَشِينَ . «أَيُّ دَلِيلٍ أَنْتَ إِنْ لَمْ تَضَعْ فِي مَسَالِكَ
هَذَا؟» ، قَالَ ، فَرَدُّ تَاهَشِينَ وَقَدْ تَجَرَّعَ بِأَنْفِهِ مِنْ نَبْعِ الْكَافُورِ اللَّامِرْثِيِّ
أَثِيرًا مِدْقَاتٍ وَأَسْدِيَةً :

- إِنَّنِي أَتَنْفَسُ مَا يَتَنْفَسُنِي .

رَفَعَ تَالْمَاجُورُ جِرَابَ الْكَافُورِ إِلَى أَنْفِهِ . أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ عَلَى بَرُوقِ
الشُّفَاعَاتِ الْمَشْمُومَةِ :

- جُذُورُ الْعَرِيقِ كُلُّهَا هُنَا .

أَعَادَ بِاَكَالِبَا أَجْرَبَةَ الْمَسْكِ ، وَالْعَنْبَرِ ، وَالْكَافُورِ ، إِلَى خُرْجِ جَمَلِهِ .
وَزَنَ فِي رَاحَتِهِ حُقّاً صَغِيراً . فَكَ رِبَاطُ غَطَائِهِ فِي حِذْرِ . بَلَّلَ طَرَفَ
سَبَابَتِهِ . غَمَسَهَا فِي جَوْفِ الْحُقِّ وَاسْتَخْرَجَهَا تَتَلَأُلاً بِشَذَرَاتٍ قَلِيلَةٍ
مِنْ شَذَرَاتِ الذَّهَبِ . «مَاذَا تُسْمُونُ هَذَا؟» ، تَمَّتْ . هَزَّ رَأْسَهُ مَنْتَشِياً مِنْ
نَبْضِ الْمَعْدَنِ الْحَيِّ ، السَّاهِرِ عَلَى الْبَرَاعَاتِ . تَنَهَّهَدَ . تَمَّتْ . أَسْقَطَ
الشَّذَرَاتِ عَنْ سَبَابَتِهِ فِي جَوْفِ الْحُقِّ ، وَأَحْكَمَ الرِّبَاطَ عَلَيْهِ .
لَمْ يَغْلُقْ أَحَدٌ .

في مجلسهم ، عصرَ ذلك اليوم الخامل ، قربَ البئرَ الثالثة ، تبادلوا
ماتبادلوه من مطارحاتِ العقل في إنشاء اللسان ، متحرّرينَ إلا من فقه
اللاتعيين . هم سيقايضون بالأجربة النبيلة رقاعاً من شؤون الكتابة ،
ورقاعاً من شؤون الرسوم ، في أسواق مودابورك .

لقد سقوا جمالهم ، في وصولهم البئرَ الثالثة فجرَ اليوم الثالث من
مغادرة البئر الثانية ، سقياً ، بعد الإطماء ، على ثلاث مراتب : نهلاً ،
ثم شرباً مبتوراً ، ثم ريثاً بطراً فائضاً : ليس بعد البئر الثالثة إلا النفقُ
الحجرُ في جبل كاكونت . بعد النفقِ غمرُ الرمل والصخر في صحراء
لوكهين .

نقوشُ النار ، الموقدة ذلك المغيب ، وزعتُ تماثمها على وجوه الستة
الأنفار ، الصامتين خشوعاً لهيكل النقصان الجسور في نهايات سهوب
كاروكشين .

Rinkeby

نهض الذئبُ الأحمر من وراء النُصبِ الإسمنتي ، المنحوتِ بلا مهارة ، على شكلِ ميزانٍ قديم ، ذي كفتين . ثئاب في كسلٍ فارتعش لسأته المشدود المتقوس . تشمُّ الأختامَ اللامرئية في ذاكرة النور الشاحب منعكساً ، من أعالي نفقٍ رنكبي ، على ماءٍ راكد . نظر إلى صورته في الرصيفِ المبتل . كلمها صامتاً بلسان المشيئات المعتذرة .

دار على نفسه جذلاناً كأنما يداعب ذئبةً أسرفت في الشناء على فروه النظيف . قفز مرتين إلى أعلى في المكان ذاته . ضمَّ ذنبه بين قائمتيه الخلفيتين مقوساً ظهره ، يتحجّن عراكاً يهدئ من لُجاجة الروح العادية . أغمض عينيه برهةً في امتنانٍ لخياله كذئب ، ولظله الماهر في ترتيب النُظم الحيوانية كروياً . قدّر لنفسه المسافة بين الرصيفين المتقابلين على جهتي الأخدود ، الذي تخترقه سكةُ القطار . زحفَ بصدرة زحفاً على الإسمنت ، ثم ارتفع عالياً ، باندفاع من أمل الخصائص في أحكام دورتها . مزّق الهواء فوق الأخدود طائراً . حطَّ على الرصيف الآخر . أقعى مُطلقاً عواءً مُهذّباً لا صخب فيه ولا غرور .

«عُدْ» ، قال الشاب الجالس على كرةٍ حجرية من المرمر الشديد

الزرقعة ، في المعبر الدائري ، الذي يصلُ جهتيَّ النفق أحدهما بالآخر عبر الجدار ، ذي النتوءات النقوش . نَقَرُ الإسمنت بين قدميه بعضاً لُعبة الهوكي نقرأ شاحباً : «عُدْ» ، قالَ الكلمةَ ثانيةً ، فارتفع الذئبُ في الهواء ليستقرَّ على الرصيف الذي جاء منه . قوَّسَ ظهره متصنِّعاً شكلَ يقينٍ مُغتَصَب . طأطأ رأسه . كَشَّرَ عن أنيابه مَزْجاً بين أدب الوعيد وأدب الحيلة . سار صوب الشاب الجالس على الكرة الحجرية . تشمَّم طَرَفَ عصا الهوكي المفلطح ، وجثم على الإسمنت ، تفرق خضوعٌ ماجنٌ في عينيه الماجنتين .

«بأية لغة سنكلّم النبيّ القادم إلى عشاءٍ يألؤه - أبي؟» ، قال الشاب ، ذو الشعر الطويل ، المائل إلى حُمْرة ناطقة بلسان الباطن الذهبيّ . لمس بإحدى يديه طوقَ الخرز الكهرمان حول رأسه . تتم : «لَمْ تنظر إليّ هكذا كشقيق يريد الزيادة في حصّته من حلوى الصباح؟ . أحملُ على ظهري أبديةً مكسورة الظّهر من حملِ الأملِ الثقيل - أملِ الإنسان في معجزةٍ لا ضرورةَ لها . لم أجاوز الرابعة والعشرين من عمري بعد ، لكنني أنجزتُ العبورَ بك ثلاثة آلاف نفق ، مُحْتَمِلاً شكواك من جدارة أن يكون للحيوان خيالُ شعب» . نَقَرُ الإسمنتَ المبتلّ بعصا الهوكي ثانيةً . رفع الذئبُ صدره مرفُهاً عن نفسه بنظراتٍ إلى رسوم شجر الفيغونيا ، والميموزا ، على جدار نفق رنكبي . أطلق عواءً قصيراً - عواءَ العازف بأنملِ الصدى على وتر الصوت . أغمض عينيه يُصنّف السهوب ، التي لم يَرها بعد ، جِراءً تتقافز حول أنثاه الطليقة ، هناك ، في الجمالِ الهواءِ ، المُرضعِ بهائمِ الحقائق من أُنْدائه السبعة .

مرَّ الشاب ، الطويلُ بلا نحافةٍ ، طرفَ عصا الهوكي المفلطح على

فرو الذئب في دعة . «هلاً وصفت لي ماتراً في؟ أعبرتُ خيالكَ أسيراً كالحكمة كما عبرتُ خيال أبي - يالوه ، في ماضي خياله المهْدَد ، أبداً ، بشعوب تقايض الندم بالندم؟ بعد الوعيد تأتي النعمة - تلك الأتانُ المحمَّلةُ بملح أزرق . نعمةٌ معجزةٌ كالنهيق » ، قال ، ثم نهض عن الكرة المرمر ، السوداء ، الشَّغوفة بعقلها المنعكس في الماء الراكد على أرض النفق : «أسألُ نفسي ، أبداً ، آخرَ نهاري ، إن كنتُ قتلتُ أحداً؟ لا دم على يدي . لا دمَ تحت لساني . فمي نقيٌ كصرخة نقيّة . لي خطواتُ ناقصة في البر ، كاملة في المياه . عقلي كما تريدُ ، أيها الناظر إليّ كشقيق يستزيدُ من حلوى الصباح . عقلي عصاي هذه - عصا اللعب بكثرة الخيار الواحد في ساحات الهياكل الذهبية كلها » . دار من حول الذئب الأحمر ، المسترسل في نجواه إلى السهوب المفقودة : «أتراني أحدثك ، أنا يُوشُ ، ابن يالُوهُ ، بحديث سمعته ، من قبل ، أمام بوابة الرمال الموعودة بعبور الموعودين بأقدار من رسوم الملوك؟ لا أعرف الخوف ، مُذ جعلتُ الخوفَ كلبِي ، لكنني حليفُ الريبة في الكلمات الأكثر دهاءً . قلقي دينٌ كالمكان لا يَمْتَلِكُ ولا يُمْتَلِكُ » ، قال الشاب يُوشُ ، ذو السترة السميقة ، المبطنة بريش الإوز الغاصب - إوزٌ خليج مورتيك المتمدد على أريكة البحر النجمي . نظر إلى نفسه في بقعة من الماء الراكد على الرصيف . رتب بإحدى يديه خصلاً شاردة من قطع شعره الطويل . تلفت إلى جهات النفق المزدوج ، الفارغ إلا منه ومن ذئبه . صمتٌ حليقٌ استعرض صورته في المرايا - الإسمنت . صمتٌ وسيمٌ ، شابٌ كيُوشُ ، زرّ قميصَ الهواء المفتوح ، وذلك صدغيه بعطر المهجور . تكلم يوش بنجوى الممتحن لسان الضرورات : «بمائة شعب ، أو بشعب واحد ، تمكن تسوية خلاف بين

شقيقين يؤجِّلان تسليمَ الله ورقةَ عَهْدَهما أن يبقيا شقيقين
بلا ضمانة . لا ضامنَ لشيء ، على أية حال ، في موثيقِ المُختارين .
بمائة شعب ، أو بشعب واحد ، تكتمل الآثارُ العمياءُ لعبور اليأس
شهياً .

هزَّ الذئبُ جسدهَ ينفُض عن فروه البذورَ ، التي نثرها عليه فجرٌ لا
يُرى ، في سهوب شققها الفجرُ بمحاريث الرُّسُلِ الخارجين عن
أطوارهم . دار من حول يوش المنتصب ثابتاً يتأمل رسومَ شجر
الفيغونيا - شقيقات العلامات المنكوبة بحروب الزهر ، ورسوم الميموزا
- شجرة حياءِ اللون من عناق الذهب للذهب ، أو «القَسَم الأصفر» ،
بحسب تعريفها في منطق الداهليين . تمسَّح الذئبُ بساق الشاب ، في
خضوع لن توكده يدُ الحقيقة الممدودة ، بأصابع من شكٍّ ، إلى الأيدي
المستريحة في غمامات العقل . «كُلُّ مكان شكٍّ . كُلُّ مكان مكانٌ
مرفقٌ ، ذو أثاث كأصوات المغنِّين» ، قال يوش . انحنى على الذئب :
«أرى في عينيك لوماً أيها المستزيدُ من حلوى الصباح . علام؟ شعبٌ
واحدٌ - أصارحك - لا يكفي لترتيب مكان واحد بحقائق لها خيال
الحيوان . مكان واحد لا يكفي لتوزيع شعب ، كالسَّماد ، على حقوله ،
كي تنمو بذور الأساطير ملتمة بشعيرها . ثمت أمرٌ علينا أن نتفكَّر
في تعديله بما يناسب اختيارَ شعب لحلم ، واختيارَ حلم لشعبٍ
اختياراً عشواءً له سحرُ الغضب لا الحكمة . الميزان ثابتٌ كإسمنتٍ
نفق رنكبي هذا . آلهة ثابتة في صورها الحجرية . ملائكة ثابتة في
صورها الحجرية . قيامةٌ مذعورة ينعكس هلعُها في الماء الراكد على
رصيف نفق رنكبي» . استقام صارخاً : «رنكب يـ يـ يـ ي» . ضرب
بعضا الهوكي الرصيف : «في كل عُشرٍ من المَدِّ هناك من يكلمهُ الله .

في كل عُشر من الجزر هناك من يكلمُ اللهَ . أنا في حيرة من الأعشار المقسومة بين العدم والخلق ؛ بين الإنسان وهذيانه ؛ وأرى البحر سابحاً من حولي كسمكة القُدْ ، والسماءُ سابحةً من حولي كدلفين . لمس براحة يده ظهر الذئب : «أنا شعبٌ في تيه بين خيالي وخيالك ، أيها الناظرُ إليّ كشقيق لا يريد المزيد من حلوى الصباح؟» .

تناثرتُ قهقهاتٌ بعيدة من مدخل النفق جنوباً . تدرج خفقُ نعال صلبة على الرصيف المغسول ألياً ، في الأرجح ، على صوتٍ صفيّر عمال التنظيف في أنفاق القطارات . أصغى يوش . أصغى الذئبُ . تسع عباءات من قماش أسود رقيق احترقت المشهد الصامت ، من المنعطف ، الذي يحجب المدخل . فتياتٌ في عباءات تسع ، منسدلة على ملابسهن حتى أعقاب الأحذية ، احترقن المشهد ، وقد غطين رؤوسهن بخُمُر بيض لا يبرز منها غير وجوههن ، في احتشام يضلّلن به ملكات الإغواء ، في الذاكرة ، وطبائع الرغبة في الطين الذكر ، المشويّ صلصالاً ببلاغة الشهوات الأزلية . فتياتٌ ملتزماتُ الجلود بسواد شروق كُنْ ، أولئك ، المقهقاتُ بحناجر مطلية بزيت الدعابة ، وزبدة المرح . توقفن بغتةً . فوجئن بالشاب يوش . تبادلن نظرات الفضول ذوات الطنين كنحل زهر المنثور . تقدّمن منه بخطى مغسولة بظلال عبااتهن ، ثم توقفن إذ صرّن على بُعد أربع أذرع .

«ماذا يفعل هذا الوسيمُ هنا؟» ، قالت إحداهن ، فلكزتها جارتها بمرقها :

- إنه يسمعك ، يالسانَ الشمندر .

رفعت الفتاة ، التي تحدّثت أولاً ، صوتها قصداً إحراج جارتها :

«ماذا تفعل هنا ، أيها الوسيم؟» .

التفت الفتيات التسع إحداهن بالأخرى ضاحكات في حياء .
أمعن يوش النظر إليهن مُخترقَ الخيال بمجابهات بين الفكاهة
والحذر : «بأية لغة يتكلمن؟» ، ساءل الذئب المُقعي ، الشارد في عبور
خياله بالصور المُعذبة إلى الكلمات . كرر سؤاله : «بأية لغة . .» ، قال ،
مظلاً فضوله بيد فضول آخر من السواد الشروق في بشراتهن ؛ السواد
المتكتم على معجزة اللون ؛ الغامض المُتدح كأخيه العماء الأصل .
«لونٌ نبيُّ هذا السواد؟ خبز في ولائم اللون إذ يعتنق اللون دينَ
الشكل . خميرة كل لون . سوادٌ عقلٌ» ، تتم يوش هادياً . لمس رأس
الذئب : «قل شيئاً» .

«إنه يكلم نفسه» ، قالت فتاة أخرى .

طرق يوش الرصيف بعصا الهوكي طرْقاً ككلامٍ وديعٍ من صوتٍ
صِرَف بلا حروف . ابتسم لهن :

«بأية لغة قد تخاطبنَ نبياً إذا حضر العشاء في بيوتكن؟» .

ضحكت فتاة في السُرب : «أسمعثنَ هذا الوسيم؟ مالغته؟» .
قالت . حدثت واحدة أخرى ، في السُرب السارح في مراعي السواد ،
إلى يوش ، بعينين احتشدت الأقمار رعاة فضة في حدثيهما . كلمته
بصوت مبتل : «ماذا تفعل هنا؟ لم تعد القطارات تعبر نفق رنكبي ،
أيها الوسيم» .

ضحكت الفتيات جميعاً . ضحكت عباءاتهن . ضحك السواد
الشروق . فرمت الظلال النور بمديتها - مدية الماء في نوافير المعلوم .
لوى يوش عنقه صوب الذئب : «كن متأهباً ، أيها الناظر إليّ كشقيقٍ
شيع من حلوى الظهيرة . كن متأهباً . إنني أسمع عجلات قوية على

طُرُقِ الخَفِيِّ ، وَأَزَقْتُهَا المَرْصُوفَةَ بِتَأْنٍ . أَحْنَى رَأْسَهُ لِلْفَتَيَاتِ التَّسْعِ ،
اللَّوَاتِي اسْتَدْرَنَ عَائِدَاتٍ مِنْ حَيْثُ جُئْنَ ؛ مَبْتَسِمَاتٍ ، يَتَلَفَتْنَ إِلَيْهِ بَعْدَ
كُلِّ خَطْوَتَيْنِ .
أَطْلُقُ الذُّثْبُ الْأَحْمَرُ عَوَاءً خَافَتَا كَنَمِيمَةٍ لَمْ تَكْتَمَلِ .

هواءُ النَّقْصِ المؤدَّبُ

بعد يوم ، أو أقل ، من مغادرة الستة الأنفار البئرَ الثالثة ، لمست أخفافُ جمالهم البرزخَ الحجرَ . سَلَكَوا البرزخَ لا يُجاوزونه أو ينكفثون ، في الحدِّ الواضح ، الذي يخيِّط بإبرته ذيلَ عباءة جبل كاكونت بحوافِّ الدرع الأخضر لسهوب كاروكشين .

تاهشين ، وتالماجور ، الدليلان ، امتدحا ، ببصرهما ، المعلوم الأليف - شفيح الأدلأء ؛ وذلكما آخرَ قطرات من خمير حليب الجياد على الأرض تبجيلاً للجبل : « يا أخوة السَّفَح الأعظم » ، ردداً بلا صوت .

« هذا هواءٌ مبتردٌ في عبوره الصَّدْع المتكلم » ، قالاً لرهطهما ، وهما يتنشقان الخصائصَ وأسبابها برئتَيْن من فِراسة وقياس . « كلُّ هواءٍ يعبر الصَّدْع النفقَ ، في جبل كاكوكنت ، طاعةً للغامض المعتدل في أناقته . يتلطفُ الهواءُ ، ويتهذبُ إن تَلَطَّف الغامضُ للهواءِ وتهذبُ » .

أَحْنيا رأسيهما للجبل : « نحن في عُهْدَةِ أنفسنا أولياء على العرق المحتجب - عرق الأدلأء في حقائق الظاهر . ماتراه هو مانراه . وليس غيره . مالانراه هو غير ذاته ، أيها الجبل » .

رفعاً بصريهما إلى الأعشاش الجليد امتداداً للنسور الأزلية
جائمة ، بثقة البياض وعدله ، فوق أكتاف كاكونت الجبل : «أنت
تؤثت صحراءً لوكهين بتمائيل ظلالك . خَلَفَكَ رِيحٌ قَيْدٌ ، وقِيْظُ
جَبَلٍ . اعْبُرْ بنا - نحن الودائع - إلى صحراء لوكهين . خُذْ عَهْدًا على
صحراء لوكهين أن تعيدنا إليك» .

أنيقاً عَرَضَ السفحَ الحجريُّ ، بحدَّباته ومطاوئهِ ، روحَ الحجر
الخفيفة على أبصار الدليلين ورهطهما .

منذ سبع سنين لم يتقدَّم تاهشين ، وتالماجور ، قَطَرَ الجمال إلى
إقليم مودابورك . بطَّيعَ المَشْرَعُ للخفيِّ المُنْتَظَمِ حساباً وصِفَاتٍ ، ولعقله
المؤيَّد للمرئيِّ المُتَسَتِّرِ على ذاته حساباً وصِفَاتٍ ، انتهج تاهشين نهجَ
الأدلاء مع أبيه صبيّاً ، ولم يزل . أما تالماجور ، الذي رفعته حظوظُ
الخصاء صغيراً إلى الفوز بلذائذ المحذور في مقاصير الحرم ، فقد رفعه ،
تيغوتكين شاه ، في كهولة تالماجور ، إلى أمرية الأدلاء والقيافين ،
الملحقة بخان أضياف البلاط : «مامن سلوقي» ؛ مامن خُلْد أعمى ؛
مامن أيل ؛ مامن جَمَل ؛ مامن فَنَك يزاحمك في الاهتداء ،
بالرائحة ، إلى أسماء الداخلين إليَّ والخارجين من مجلسي . أنت
كليم الروائح ، ولنخريك عينان كعيني النسر ، ياتالماجور . خُذْ بابَ
الأدلاء في الخان ، بدلَ بابِ الحرم . فليَنْتَفِعْ بك عقلُ المسالك » ، قال
الطاعن في سنين بلا عددٍ تِيغوتكين - سليلُ البُعْد الأوسط من بقايا
الممالك .

« لا شيء تغير في الجبل » ، تتمم تاهشين .

« لا شيء تغير في المدَّ الحجري » ، تتمم تالماجور .

« هاهو النفق » ، صاحاً معاً .

استدار الستة الأنفاز من خلف أكمة متصدعة ، مجاوزين
البرزخ ، الذي لم يحدوا عنه حتى لحظتهم تلك . قادوا جمالهم ،
في تودة المحاذير ، إلى مجرى الهواء المُبتَرِدِ بعبوره مؤدباً بين يدي
الغامض .

Rödmansgatan

اقترب الشاب ، ذو القبعة الصوف الزرقاء من القطار الواصل توّاً إلى النفق . انفصل عن الجَمْع المتأهّب ، بأقداره المتأهّبة ، للصعود إلى المقطورات - الزمن ذي المقاعد المحسوبة بأرقام الكمال المروّض . استرقّ النظر إلى مَنْ يجاورونه يَزِنُ مدى غفلتهم عنه . دسّ يده في كيس القماش البُنّي المتدلي من كتفه اليسرى . استخرج أسطوانة صغيرة معبأة بلون سائل مضغوط . التفت إلى الوراء يستكمل الحيطّة من عين شاهد ، أو لحظ رقيب . اطمأنّ عرقُ المحظور في عضلة خياله . ضغط على الحَلْمَة النافرة أعلى الأسطوانة المعدن فانفلت اللون المضغوطُ أحمر من ثقب فيها . لَمَحاً ، على عَجَل مُدْرَب باحتراف ، رسم الشاب ، الهادئ العينين ، خطأً رفيعاً ، ملتويّاً . تراجع عن القطار ، الذي سكب مغادرته من إبريق فراغه ، ورشف الداخلين إليه من إبريق فراغ النفق .

شيع الشاب القطارَ راضياً عن هبّته من اللون على هيكله الملتمع . استدار متّجهاً إلى مقعد خشبي لصق جدار النفق . تسمّر . انكمش جلدُ جبينه : شُرطيان - رجل ضخم ، وامرأة نحيفة قليلاً - كانا يرصدانه ، واقفين قرب مُنْعَطَفِ الجدار ، الفاصل بين اتجاّهي

سَكَّتَيْنِ . أُحْرِجَ قَلْبُهُ . فَكَّرَ ، لَوْهَلَةَ ثَقِيلَةً ، أَنْ يُسْرَعَ الْخَطَا صُوبَ
 الْمَخْرَجِ الْمَعَاكِسِ لَوْقُوفِهِمَا ، لَكِنْ رَأَبَهُ أَنْهُمَا لَمْ يَتَحَرَّكَ فِي اتِّجَاهِهِ . ظِلًّا
 مُحَدَّقَيْنِ إِلَيْهِ ، بِفَمَيْنِ يَتَبَادَلَانِ الْهَمْسَ حَرِيفًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْتَفَتَ
 أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ . ظِلُّ الشَّابِّ ، ذُو السِّتْرِ الصُّوفِ الْحُمْرَاءِ ،
 السَّمِيكَةِ ، الضَّيْقَةِ الْعَنْقِ ، مُحَدَّقًا إِلَيْهِمَا بِدَوْرِهِ ، مُتَأَهِّبًا - بَعْدَةَ الْحِيلَةِ -
 لِاتِّخَاذِ تَدْبِيرٍ يَنْاسِبُ الْمَغَادِرَةَ أَوْ الْبَقَاءَ . اسْتَجَارَ بِالْبِدِيهَةِ فِي تَأْوِيلِ
 مُوجِبَاتِ الْمَوْقِفِ . دَارَ عَلَى نَفْسِهِ قَلِيلًا يَتَصَنَّعُ الْبَحْثَ عَنْ شَيْءٍ
 مَفْقُودٍ . اقْتَرَبَ مِنَ الْمَقْعَدِ الْخَشْبِيِّ ، ثُمَّ ابْتَعَدَ عَنْهُ . وَاجَهَ لَوْحَ الْمَوَاعِيدِ
 الزَّجَاجِيِّ يَسْتَعْرِضُ الزَّمْنَ ثَابِتًا فِي خَلِّ الْأَيَّامِ . أَدَارَ لِللُّوْحِ ظَهْرَهُ يَقْطَعُ
 الرُّسُومَ عَلَى الْجِدَارِ الْأَقْرَبِ إِلَى خَنْدَقِ السَّكَّةِ ، بِشَفْرَةٍ بِصْرِهِ ، مَرْبَعَاتٍ
 تَتَهَاوَى فِي عُزْلَةِ النُّورِ الْبَارِدَةِ : قَبْعَاتٍ مَرْسُومَةٍ عَلَى هَيْئَةِ سَيَارَاتٍ .
 مَزِيحٍ مِنْ طَرَفَةِ ثَقِيلَةٍ ، وَخُمُولٍ مُوزَّعٍ أَبْعَادًا فِي طُرُقِ مَدِينَةٍ كَرُويَةٍ .
 تَلَمَّسُ أُسْطُوَانَاتِ اللَّوْنِ الْمَضْغُوطِ ، الصَّغِيرَةِ ، فِي كَيْسِهِ الْحَالِمِ ، مُسْتَرِقًا
 النَّظَرَ ، بِرَهَةٍ بَعْدَ أُخْرَى ، إِلَى الشَّرْطِيَيْنِ ، الثَّابِتَيْنِ فِي مَدَارِ هَيْبَتِهِمَا .

تَوَافَدَ خَلْقٌ مِنَ الْمَدَاخِلِ إِلَى مَوْعِدِ الثَّقَلَةِ الْجَدِيدَةِ مِنْ مَعَاصِرِ
 مَكَانٍ إِلَى مَعَاصِرِ مَكَانٍ آخَرَ ، مُتَأَهِّبَيْنِ لِإِفْرَاقِ جِيُوبِهِمْ مِنْ قِطْعِ
 السَّمَاءِ ، جَالِسِينَ أَوْ وَاقِفِينَ ، رِيثَمَا يَجْمَعُونَ سَمَاءَ أُخْرَى ، خَارِجَ نَفَقِ
 رُودُمَانَسْغَاتَانِ . كُلُّ قَادِمٍ إِلَى نَفَقِ رُودُمَانَسْغَاتَانِ يَحْمِلُ مَعَهُ سَمَاءَ
 مُقْتَطَعَةٍ مِنْ حَدِيثٍ عَابِرٍ ، وَكُلُّ خَارِجٍ مِنَ النَفَقِ يَلْتَقِطُ أَوَّلَ مَا يَلْتَقِطُ ،
 السَّمَاءَ الْأَقْرَبَ إِلَى يَدَيْهِ وَجْهَتِهِ . الْقَادِمُونَ يَجْلِبُونَ مَعَهُمْ سَمَاءَ
 تَتْرَاكُمِ فِي نَفَقِ رُودُمَانَسْغَاتَانِ . وَالشَّابُّ - ذُو الْعَيْنَيْنِ السُّودَاوَيْنِ ،
 الْهَادِثَتَيْنِ ، غَيْرِ الْمُنَاسِبَتَيْنِ مَعَ بَشْرَةٍ بَيضاءِ يَتَنَاثَرُ عَلَيْهَا غَمَشٌ مُشْرَدٌّ -
 يَرِيدُ التَّقَاطُطَ السَّمَاءَ رَسُومًا مُتَقَطَعَةً ، بِشَبْكَةِ اللَّوْنِ الْمَضْغُوطِ فِي

أسطواناته الصغيرة ، عبر حروف لم يهتد ، بعد ، إلى تسوية خلافه معها . إنها لا تنتسب إلى لغة . لكنه يؤثّقها ، حرفاً بعد آخر ، في هبوب المصادفة المُرتَجَلَة ، على شبرٍ من هيكل كل قطار يعبر نفق رُودْمانْسْغَاتَان .

تسعة حروف بتسع مصادفات ، أنجز منها الشابُ رسمَ حرف واحد ، تحت بصر الشرطيّين . تلزمه ثمانية قطارات بعدُ .

اختلط الوافدون الواقفون به . حجبوه . وصل القطارُ . فُكَّتِ الأغلالُ الآلية عن أبوابه . خرجتُ فلولُ الأسرى . دخلَ المستسلمون أسرى ممتنّين لآسْرهم . ضغط الشابُ على حلمة أسطوانته فاندفع الرّشاشُ اللّونُ نفْحاً قوياً على هيكل القطار . ارتسمَ حرفٌ شكْلاً ، لا ينتسب إلى لغة ، على صفيح إحدى المقطورات .

غادر القطارُ بحرفِ المصادفة المُرتَجَلِ الثاني .

ارتدّ الشابُ خطواتٍ إلى الوراء . استدار إلى حيث كان الشرطيان واقفين ، فألفاهما واقفين . وضع يديه في الجيبين الجانبيين لبنتاله الرمادي . عاد إلى تأويل الرسم الجداري بعينيّه ، وتأويل الصمت في النفق بأذنيه . خلطَ النفقُ بالسماء ، المتروكة قُصاصات على مقاعد النفق ورصيفه . زعم لنفسه ، لحظةً ، أن في مستطاعه جَمْعَ براهين لا تُحصى عن انتحار حيتان ، وانتحار شجر ، وانتحار ظلال ، وانتحار كلمات ، وانتحار مجرّات أهانها مزاجُ الضّرورة المتقلّب . حرك كتفه اليسرى فتصادمت أسطوانات اللون المضغوط في مرح . أشغلَ خياله ، المُقسّم جبهات على العوالم المسحورة ، بالخريطة الكبيرة لمسالك القطارات : تفاصيلُ مجنّحة ؛ لكل تفصيلٍ إلهٌ يحيط به رقباء من حقائق الهندسة .

خريطة كليةً للتفصيل الأرضي؛ للتفصيل المروض ذي
الجنّاحين . خضوعٌ مُحكَم . وبإزاء ذلك ثُمّت تحالفُ آلهةٍ لاحتواء
الشَّعْبِ في السماء أولاً .

عجنَ الشابُ خياله بطحين الخطوط المجنّحة في الخريطة ، ومائها .
أضاف إلى العجين خميرةً من بزور السماء المتساقطة تحت مقاعد
النفق . سوّى العجينة كرةً . رَقَّقها . بَسَطَها قُرْصاً على صباح الممكنات
المُحمّى . قَضَمَ الرغيفَ إذْ نضج . قَسَمه ثلاثَ كِسراتٍ . وَضَعَ كِسرةً
في كيسه ، وحمل ما تبقى إلى الشرطيين .

لكرتِ الشرطيةُ رفيقها الشرطيَّ برفقها ، وهما يريان الشابَّ قادماً
صوبهما بيدين ممدودتين ، فارغتين كما يفعل متسوّل . حاذاهما
الشاب . حاد عنهما ، ثم جاوزهما باتجاه المَخرج . استدار ورجع
صوبهما ، من جديد ، على النحو ذاته ممدود اليدين . حاد عنهما
واستمرَّ في سيره الغريب حتى بلغ مقعداً . جلس عليه . أحنى ظهره
ناظراً إلى الأرض كأنما أضاع مفاتيحه في الطريق إلى خزانة الوجود
المُقفلة . توافد ركّاب جُدُدٍ إلى مواعيدهم القديمة مع ما يعرفون وما لا
يعرفون . ثُلّةٌ من المراهقين اجتمعت على الرصيف ، صاخبةٌ ، تخضُّ
علبَ شرابٍ غازيٍّ وتفتحها فيفور السائلُ جامحاً برغوته . حضر القطارُ
بحاشية من زواجع الهواء . تحركتِ الشعورُ فوق الرؤوس تحيةً مُنْتزَعَةً
عُتُوَةً ، وَخَفَقَتْ أذْيالُ المعاطف شوقاً إلى لا شيء . نهض الشاب .
أخرج أسطوانةً من كيسه . ضغط على حلْمةِ المكْبَسِ فانفلتت رشقةٌ
من اللون على جدار المقطورة . خُتِمَ عماءُ الهيكل بحرف شكل .

تراجع الشابُّ بعد إتمام صفقته المُعلنة مع المحظور ، غيرَ مُبالٍ بَنَ
ينظرون إليه . التفت إلى الشرطيين المُحدِّقين إليه بشراهةٍ تراكمت

عبر قرون . اتكأ بكتفه إلى جدار النفق ، مُستعرضاً على هدوء خياله الرسوم ، التي تواجهه نافرةً في الجدار الآخر : قبعاتٌ مرسومة على هيئة سيارات ، في طرق مدينة كروية . إيحاءٌ فكاهيٌ مُغتَصِرٌ من شقاء الشكل المُغتَصِر . خمولٌ كما بعد جريمة . مأساةٌ موزعةً افتراضاً في إحساس بدورة ضائعة . مكانٌ ، أو لا مكان ، مجتمعان معاً على ترتيب صفيقةٍ للمأساة المُفترضة . المأساة لا تستطيع توصيفَ نفسها مأساةً . فهي ، في حدوثها واقعاً ببرهانِ الألم ، قَدَرٌ فقيرٌ يسرق كل شيء من أجل الحصول على وجبة ساخنة . وهي ، في حدوثها كتابةً ببرهان البراعة على ابتكارها ألماً في الحروف ، أو التدوين باللون ، قَدَرٌ ينسى دوره قبل الصعود إلى خشبة المسرح بخطوتين .

المأساة طَبَعَ كرويٌ .

تراحمَ وأفدون جُددٌ بانتظار قطارهم . جاء القطار . مضى حاملاً على هيكله حَرَفاً شكلاً قذفته أسطوانة اللون من جوفها المُختنق .

قطار خامس للحرف الخامس .

قطار سادسٌ للحرف السادس .

قطار ثامن ...

لم يعد الشابُ حذراً . باتت أسطواناتُ اللون حُرَّةً في منح شفاعتها ، أمام عيون الخارجين من القطارات ، والداخلين إليها . لكنه ، حين أنجز الوشم الثامن ، تحديداً ، على هيكل القطار الثامن الأنيق ، وعاد أذراجهُ ، في هدوءٍ مُمتدح ، إلى المقعد الخشبي ، تحرك الشرطيان في اتجاهه . كان مفاجئاً له أن يتحركا بعد ذلك السكون الطويل المنحوت حول جسديهما نَحْتاً مُحْكَمًا . رَصَدَهما قادمين بلا فزع . وقفا إلى جانبيه . دار بوجهه عليهما من مجلسه . أوامت إليه

المرأة الشرطية أن ينهضَ ، فنهضَ .

«ماذا فعلت؟» ، ساءلته بصوت فيه نبرُ الدَّهْشِ .

«لم أفعل غيرَ مارأيتماني أفعله للمرة الثامنة . وشمْتُ القطارَ بحرفِ ثامنٍ» ، ردَّ الشاب . مدَّ يده مُصَافِحاً : «أنا إِشْمَانُو» ، فتجاهلتِ المرأةُ النّحيقةُ يده . مال عليه الشرطيُّ الضخمُ كأنما يصغي إلى نبض قلبه : «ما الحماقة التي ارتكبتها يا إِشْمَالُو؟» ، قال وهو يعضُ حروفَ اسم الشاب في احتقار . مال بوجهه إلى شريكته في المهنة : «جمعَ أبواه حروفَ اسمه من أسواق السَّمَكِ . أتخبين السمك؟» ، ساءلها ، فردت :

- لا أحب السمك .

«أنا ، نفسي ، لا أحبُّ السمك . أتحبُّ السمك ، يا إِشْمَالُو؟» ، قال الشرطيُّ الضخم .

«اسمي إِشْمَانُو . هل تريدان اعتقالي؟» ، قال الشاب . ضمَّ معصميه ، أحدهما إلى الآخر : «قَيِّداً يديَّ . خُذاني» .

نفخت الشرطية من فمها على عينيه : «أفِقْ . لِمَ فعلتَ هذا؟» ، ساءلته بصوت ينزفُ امتعاضاً ، فرد إِشْمَانُو : «أكتبُ اسمَ النّبِّ القادم إلى عشاء أبي يالوهُ حروفاً مقطّعةً في أشباه صور . دوّنتُ ثمانية . بقي حرفٌ واحد» .

«لا نسألُك ، يا ابن أسواق السَّمَكِ ، عمّا تدوّنهُ . لا نسألُك عن حروف اسم نبيّك ، أو عن مهارتك التافهة في استخدام أسطواناتك الضّراطِ . بل عن اللون» .

«اللون؟ مابه اللون؟» ، ساءله الشاب وقد جذبهُ اللبسُ فأيقظ فيه اضطراباً .

«الأبيض»، قالت الشرطية بصوتٍ موبّخ فيه تذكيرٌ. «الأبيض»، قال الشرطيُّ بصوتٍ تهويلٍ. تابع وهو يكاد يرمي بجسده الضخم عليه: «هاتِ أسطوانة اللون الأبيض».

القطارُ الثامنُ، ذو الهيكل الملتصع بزرقة انتهبها بروقُ السواد، أغوى أسطوانةَ البياض في كيس إسمانو. حين دسَّ يده في الكيس خرجتْ أسطوانةُ البياض. كانت متهيأةً، بعلوم البزوغ الكلّي للمُدَوَّناتِ الكلّية، أن تُمرَّعَ أيُّ لونٍ آخر في لذاث الشكِّ. البياضُ لذاثُ الشكِّ؛ البياض الجباية للمُكُوس من شعوب مابعد اللون. بياض مضغوطٌ في أسطوانة معدنٍ، في كيسٍ، نفخ من فمه روحَ الحرف الثامن على هيكل القطار الأنيق.

أخرج إسمانو أسطوانة اللون الأبيض من كيسه مُبَلِّلاً. قدّمها إلى الشرطية بإذعان هادئ:

«ما به اللون الأبيض؟»، ساءلها، فردَّ الشرطيُّ:

- «أنت غبيٌّ، أم تتغابي؟».

«لستُ غبياً، ولا أتغابي»، قال إسمانو.

- «أنت غريب عن نفق رُودْمَانْسْغَاتَان؟»، ساءلته الشرطية، فردَّ

إسمانو:

- «لستُ غريباً».

«أترى ذرة بياض في هذا النفق؟»، قال الشرطيُّ. صرخَ:

«البياضُ محظورٌ في نفق رُودْمَانْسْغَاتَان، ياسليل السمك».

«منذ متى كان اللون الأبيض محظوراً في هذا النفق؟» ساءلها

إسمانو بلسان المُستنكر، فالتفت الشرطيُّ الضخم إلى شريكته في

المهنة: «قولي لي ماذا أفعل بكيس بياض السمك هذا؟، انثري ملحاً

عليه . بدأتُ أشمُ زَنَحَه .

«الأبيض محظور منذ وُجِدَ نفق رُؤُومَانِسْغَاتَان . لا يستطيع هذا النفق أن يتنَفَّسَ بحضور البياض» ، قالت الشرطية . مدت يدها منتزعةً أسطوانة اللون الأبيض من يد إسمانو : «أرأيت أحداً مَن يدخلون ، أو يخرجون من نفق رُؤُومَانِسْغَاتَان ، يرتدي ثياباً فيها بياض؟» . نزعَتْ قبعَتَها عن رأسها . حكَّتْ مفرقَ الشعر . أعادت القبعةَ إلى رأسها . مشَتْ مُغَادِرَةً ، فمشى شريكُها الضخم ، نائراً كلمات ذات طنينٍ ساخر على أعماق إسمانو : «لا تبتسم . أبقى بياض أسنانك حيث لا يراه أحدٌ ، يازعنفة الإسقمري» .

أدخلَ إسمانو يده في كيسه ، متتبعاً ببصره الشرطين وهما يغادران . تلامست الأسطوانة الصغيرة ، فتنفَّسَ الحرفُ التاسعُ الصُّعْداء : جذبَ شبكتَه ، التي انتشلتِ المعقولَ المضللَ ، كخنكليسٍ ، من مياه الشكلِ الهائج .

سَمَاءٌ مُتَهَدِّلَةٌ

أَحْكَمَتِ الرَّعْشَةُ الْبَارِدَةُ رِبَاطَهَا عَلَى عُنُقِ الْهَوَاءِ حَتَّى كَادَ الْهَوَاءُ أَنْ يَخْتَنِقَ . وَجَمَ السَّتَةُ الْأَنْفَارُ . ذَابَتِ الْأَلْسَنَةُ .

بَعْدَ ثَمَانِمِائَةِ ذِرَاعٍ ، فِي سَكَّةِ النَّفْقِ الصَّخْرِيِّ الْمَلْتَوِي ، صَدَمَهُمُ الْعَمَقُ الْمَسْدُودُ بِحَجَرٍ مُتَهَالِكٍ تَسَانَدَ فَسَكَّرَ جَوَانِبَهُ فَلَا مُسْتَطَاعَ زَحْفاً ، لِشَخْصٍ وَاحِدٍ ، أَنْ يَنْفِذَ مِنْ خَلَلِهِ .

كَانَ نَفَقاً صُرِفَ فِي تَقْدِيرِ قِيَاسِهِ ، بِالْخَطْئِ ، مَا يَعْدِلُ أَلْفاً وَسَبْعِمِائَةَ ذِرَاعٍ . تَوَاشَجَتِ الصَّخُورُ الْكَبِيرَةُ ، فِي أَعْلَاهُ ، فَأَحْدَثَتْ سَقْفاً عَلَى طُولِهِ ، مُتَوَازِناً ، رَقْنَتُهُ الْمَشِيئَةُ أَثْلَاماً وَثُغُوراً يَتَدَلَّى مِنْهَا الضُّوءُ سِلَاسِلَ فِي مُنْحَنِيَّاتِهِ ، وَاسْتِدَارَاتِهِ ، وَاسْتَوَائِهِ . تَتَفَتَّحُ نَهَايَةُ النَّفْقِ ، بَعْدَ أَلْفٍ وَسَبْعِمِائَةِ ذِرَاعٍ ، عَلَى صَدْعٍ مُنْكَشَفٍ ، طَلِيقِ الْفُضَاءِ ، لَا تَنْقُضُ بِأَسْطَتِهِ أَثْنَاءً ، أَوْ عَطْفَاتٍ : صَدْعٌ مُرْسَلٌ إِلَى غَايَتِهِ فِي الْبَرَزْخِ بَيْنَ جَبَلٍ كَأَكُونَتْ وَصَحْرَاءَ لُوكْهَيْنَ .

نُوحَ السَّتَةُ الْأَنْفَارُ جَمَالَهُمْ يَنْزِلُونَ ، وَيَسْتَقَرُّونَ الْخُمَائِرَ فِي طِينِ الْفَجَاءَاتِ .

«أَهْذِهِ نَبُوءَةُ الْحَجَرِ؟!» ، قَالَ تَاهَشِينَ بِحُرُوفٍ سَقَّتِ السَّخْرِيَّةَ شَرَابَهَا فِي إِنْاءِ الْمُرْتَبِكِ . أَضَافَ فَكَاهَةً إِلَى مَا لَيْسَ فَكَاهَةً : «لَوْ أَمْلَكَ

طبلاً صدَّعت الصخرَ .

رمقه صحابه بازدراء ، في موقف تقارعت فيه أحوال قلوبهم
كمناكير اللقلق . تتم بالبور مُرسلاً نجوى الموبخ : «أيها الحجر المتهافتُ
في رؤياه ، يا حجر كاكونت ، المرتد عن نبوته . أيها اللامؤتمن على
الأنساق ؛ المتعثر ؛ المرتبك ؛ الرث اللوعة ؛ المنتدب على الخيبة .
يا حجر كاكونت » .

تقدم تالماجور الأعرج متميلاً صوب المسد . لمس الحجر براحتيه
مُشفقاً أن يوقظ جروح الحجر : «أيها العدل ؛ المخيي ؛ الولاء ؛ الصخبُ
الصلب ؛ الضحى الصلب ؛ الظهيرة الصلبة ؛ المساء الصلب ؛ الليلُ
الحجرُ مريد المشيئة الصلبة . أيها البقاء الممتحن بما يُمتحنُ الله » . قبل
ظاهر يده إذ رفعها عن الصخر . بلل سبابة بريقه ومس بها الصخر
المنهار : «تذوق بلسانك أمل لساني» ، قال .

تواجه الستة الأنفار يتجاذبون خيوط الحيرة من نول الأحوال .

«أنعود إلى كاروكشين؟» ، ساءل بعضهم بعضاً .

«كيف نعود إلى كاروكشين بخيبة رمل؟» ، ساءل بعضهم بعضاً .

«بأي قلب سننظر إلى عيني تيفوتكين شاه؟ بأية عين سنكلّم

قلبه؟» ، ساءل بعضهم بعضاً .

حمل تالماجور كِسرة حجر ، دعكها بين راحتيه . أسقطها

فتدحرجت خطوتين إلى شماله . «مَنْ اُهتدوا ، في عبورهم هذا النفق

إلى دساكرمودابورك ، دحرجوا إليّ ، مع كِسرة الحجر ، خيال العبور إلى

دساكرمودابورك من نفق الهواء . لن نرجع إلى كاروكشين بقرع مؤجلة

اليقين . تعالوا» ، قال .

عاد الستة الأنفار إلى مدخل النفق : «سنلتف من حول النهايات

الجنوبية لجبل كاكونت» ، قال تالماجور الدليل . حدّق طويلاً إلى وجه الدليل الآخر . خاطبهُ : «إلى مَ تصغي ياتاهشين؟» .

«إلى اللسان ، الذي لم يكلم أحداً من قبل عن العبور إلى صحراء لوكهين من النهايات الجنوبية لجبل كاكونت . فلنفعل ذلك ، ياتالماجور» ، قال تاهشين الدليل .

بعد تسعة أيام أنجز الستة الأنفار انعطافتهم المدوّخة من حول الجذور الجنوبية لكاكونت . ألقوا إلى الحجر مفاتيح الظلّ التائه ، وأقفال الممكّنات المرئمة على عجل . داروا من حول قوائم نهايات الحقل الحجريّ ، النحيلة ، المتمدّدة في الفراغ الشاحب . «أيها الرمل الشقيق» ، همست الجمالُ .

تهلّلت السماءُ حتى لامست الأرضَ بأثدائها التسعة - أئداءِ الريح المثلثة بملح السُحُب وكبريتها .

حرّكتُ صرّاءُ لوكهين ، في المديد الهائل ، المترامي أمام أعين الستة الأنفار وجمالهم ، بيّدق الرمل الكاهن .

Skärholmen

«ألم تجد فتاةً أخرى ، يا ابن القحبة ، غير ابنة خالتي؟» ، ذلك مادونته المرأة القصيرة الشعر ، كسطر أول ، في دفترها الأسود . تطلعت يمنةً ويسرةً إلى الواقفين في نفق شارهُولْمِنُ بانتظار دويبة الحَرِيشِ الآلية - قطارِ المعَاقِلِ الناجية . جلس شابٌ إلى جوارها . نظر إليها جانبياً . انحدر بعينه إلى دفترها .

«أكتبُ إلى زوجي ، الذي اتَّخذ ابنةَ خالتي عشيقَةً» ، قالت المرأةُ الشاحبةُ البياض . بوغَتَ الشابُ بإرسالها الكلامَ إليه صريحاً . جاراها فجاملها :

- أمرٌ مؤسف .

«لماذا هو أمرٌ مؤسف؟» ، ساءلته المرأةُ ذات العينين الساخرتين من إقامة الأُلَمِ فيهما .

ارتبك الشابُ ؟ «ظننته أمراً مؤسِفاً . أليس مؤسِفاً؟» ، قال .

«سأعرف حين أنتهي من كتابة رسالتي إليه» ، ردت المرأةُ ، التي وضعت إلى جوارها قفصاً مستطيلاً فيه هِرَّتَانِ رماديتان . لم يتكلم الشاب . نظر إلى ساعته . دارت المرأةُ بوجهها إليه تستدرجه إلى ردِّ . حوصِرَ الشابُ : «لا أستطيع إلا أن أتخيِّله أمراً مؤسِفاً» ، قال . فهزت

رأسها نفياً :

- أنا لا أتخيّل .

بدا ردها ملتبساً عليه . قلبٌ بديته نَبْشاً :

- أليست لك أحلامٌ يقظة ؟ .

« لا أحلامٌ يقظة . لا أحلامٌ منام . لا أحلمُ . لا أتخيّل » ، قالت .
وضعتِ القلمَ الرصاصَ على الورقة . جرحتِ البياضَ : « ليس لغيرها ،
بين يديّ رعشتك ، عقدٌ أشملُ بينوده ممّا كان لغيري ، يا ابن القحبة » .
توقفت عن الكتابة . نظرتُ إلى جاراها على المقعد في النفق : « الأمر
بسيط » .

كان ثقيلاً تحديقُها إليه من تلك العينين الملبّدين بإقامة الألم
فيهما . اجتهد في استدراج الكلمات المُختبِسة بين سطور خياله :
« انظري إلى قفص الهرتين ذاك . أغمضي عينيك . استعيدي صورتها
على لوح عقلك الداخلي . افعليّ تكوني تتخيّلين » ، قال .
« إذا أغمضتُ عينيّ لم أتعرفُ إلى شيء . إن أغمضتُهما أمحى
كلّ ما أعرف » ، ردّت .

« كيف تعرفين القطارَ أنه قطار قبل مثوله أمام عينيك ؟ » ، ساءلها
ممازحاً ، فردتُ :

- أعرفه حين أراه .

« تمزحين ؟ » ، ساءلها مبتسماً .

« لا أمزح » ، قالت .

« أتحاولين القول إنك - مثلاً - لا تستطيعين تخيّل صورة أبيك ،
في هذه اللحظة ؟ » ، ساءلها الشاب مرتاباً في كلامها ، أجده هو أم
مزاح ، فأبدت المرأة استغراباً : « أنتَ تعني أبي يالوّه . أنا لَيْدَالِيَا ، بنت

أمي ميريما ، وأبي يالوه . عمري إحدى وثلاثون سنة . لماذا تحدثني عن أبي؟» ، قالت . فنهض الشاب مرتبكاً : «لا أعرف أين يمضي بنا هذا الحادثُ ، أيتها السيدة . أعتذرُ . . ربما . .» ، قاطعته ليداليا : «سيجيءُ نبيٌّ إلى عشاء أبي يالوه ، الليلة» .

نهيقٌ خافتٌ سبقَ القطارَ العجوزَ في دخوله نفقَ شَارْهُوْلَمِنْ . تتمم الشاب «لقد وصل . .» ، بصوتٍ لم يظنُّ أن نفسَ السخرية الخفيفة فيه سيلمسُ أذنَ المرأة ذات الشعر القصير جداً ، فرفعت وجهها عن دفتراها إليه :

- هذا هو القطار ، إذا!! .

لم تنهض . واكبت الشاب بعينيها صاعداً إلى إحدى المقطورات . جلس الشاب لصق نافذة . فتح قفصَ فضوله ملقياً بكل ما فيه صوبَ المرأة النحيفة ، الناعمة في شحوبها . غمزته ليداليا . ابتسمت : «تخيّل أنني أتخيّلُك» ، قالت . تقشّرت الحروفُ في الزئير المُعَذِّب للقطار المُعَذِّب إذ تحرّك . «ماذا؟» ، قال الشاب بعد فوات الأوان .

خلا النفقُ . قرّبت ليداليا رأسَ قلمها الرصاص من حافة الهاوية في البياض . أنت الورقة : «عظامُك معتوهة إن قورنتَ بالعظام . جلدُك غمامُ السُّبُخات في الأغوار المهجورة . جلدُك جلدُ البزاق . نظرائك لزجة . جلدُك لزج . نظرك طعمٌ رطبٌ تحت لسان العُقعق . شعرك قَيْعٌ خنزير يغوص ، رويداً رويداً ، في وحل . شعرك شتائم الياثسين . أنفك برّصٌ ؛ جذريٌ ؛ حصبةٌ ؛ بهقٌ . فمك زبلٌ في حقل بلا بذور ، ولسانك شتاء طويل . لسانك كمخةٌ تفور من وعاءٍ يُسلقُ فيه رأسُ حمار . رقبتك مازقٌ . كتفك حمى جريح هارب . صدرك

وباء . ذراعاك قناتان مسدودتان . بطنك صداً . كبذك حفرة يُرمى فيها
الأثاث البالي . كليتاك كمأشَتانٍ من طين . ردفاك جُذام . فخذاك
حليبٌ مسموم . ساقاك مقبرتان . قدماك سُعال . قلبك . . آه ، قلبك ،
يا ابن دلفين الرماد ، جولةٌ لصٍّ في تسع ليالٍ متتالية على حظائر
البقر . قلبك أزرارٌ في معطف مهترى . قلبك أجْرٌ متأخّرٌ ؛ قطارٌ
متأخّرٌ ؛ موعد متأخّرٌ ؛ وجود متأخّرٌ ؛ حكمة متأخرة ؛ حصاد متأخّر .
قلبك قلبٌ متأخّرٌ ؛ حياةٌ متأخرة ؛ إهانةٌ لا ردٌّ عليها إلا بعد فوات
الأوان ، يا ابن سماءٍ منتفخة بالبول كمثانة » ، كتبتُ ليداليا . رفعت
رأسها عن دفترها المتمدّد مطيعاً فوق فخذها اليسرى . تحسّستِ الرسمَ
الجداريّ الصاحبَ بدببة زرقاء ، تطير من فوقها أسرابٌ من السلمون
بلون ناريّ . طأطأت رأسها ، من جديد ، محدّقةً إلى البياض الفُخل .
لمست الغشاء السّريّ برأس قلمها الرصاص : « خصيتاك بوأبتان
محترقتان . منيِّك - تفو - آخرُ ماسالٍ من خيالك كذكر . منيِّك
حانوتُ أكفان ؛ تبغُ لفافة رطبة احترقتُ ثلاثة أرباعها . منيِّك نفقٌ
تعبره بائعةٌ علّفت في مُدنٍ لا تشتري علّفاً . منيِّك قصديرٌ محترقٌ ،
يا ابن صَخْنٍ متسخٍ لن يغسله أحد » . ابتسمت لنفسها . وضعت يدها
على القفص ، حيث الهرّتان الصغيرتان مسترخيتان في كسلٍ وديعٍ .
« يا ابنتي » ، تتمتّ بلسانٍ عليه بَلَلُ اللوعة .

احتشد القادمون إلى النفق على رصيفه . حضّر القطارُ هادِراً يغلي
ولاؤه في قدْرِ المواعيد . نزلَ المغادرون . صعد الورثةُ الجددُ لكنوز الرحلة
المنهوبة . لم تنهض ليداليا عن مقعدها . أعادت قلمها الرصاص إلى
امتحانها بفقهِ البياض : « أنجزتُ ما كان ينبغي لأحدٍ آخر أن ينجزه . لا
متّسع ، بعدُ ، إلا لتاريخ الوسائد . والبقيةُ هو ما تستطيع - أيها

المتلصصُ عليّ - أن تأخذه من الحياة بشفقتها عليك ، وما تستطيع أن تأخذه من الموت بشفقتك عليه . غير أن ما لا يؤخذ ، قط ، من الإنسان ، هو بقاءه ذاهلاً . توقفت ليداليا عن التدوين . تتمت «مَنْ أخطب بهذا؟» . نظرت إلى قفص الهرتين : «سأترككما ، يا ابنتي ، قرب الأدراج . ربما يأخذكما مَنْ يعرف الندم أكثر مني» . برادة من الألم تساقطت على رثيها فسعلت . رفعت وجهها إلى الرسم الجداري قبالها : «لماذا كل هذه الدبة الزرقاء؟ دب أزرق ، واحد ، يكفي لترميم اللون المُغتصب في فكرته الزرقاء . سمكة سلمون نارية ، واحدة ، تكفي لترميم النار الذائبة النقوش من شدة فكرتها . نار لها زعانف سلمون ، وزرقة ممزقة كالليقطة بمخالب دببة خرجت من كهوف نومها إلى نفق شارهُولْمِنْ - نفق المتوازيات المطحونة» .

وضعت ليداليا دفترها على المقعد قربها . فتحت حقيبتها المعلقة إلى كتفها . أخرجت مرآة مربعة صغيرة ، بأضلاع لا تزيد عن ثلاثة سنتيمترات . نظرت إلى ساعة يدها : «حان وقت الرؤيا» . أخرجت أنبوب صمغ قوي . فكّت غطاءه القمّع بأسنانها . طلت بالصمغ ظهر المرأة . استدارت على مقعدها ، وألصقت المرأة بالحائط . أغلقت أنبوب الصمغ . عادت إلى دفترها وقلمها الرصاص . «الغضبُ كسيرة لكل شيء . الغضبُ كامتلاك لكل سيرة . العلوم المماحكات بين الطبيعة وعبثها . الإيمان كهدنة . الإيمان كفدية ، حين تؤخذ الأبدية رهينة بيدي دُغرها من اللانهاية . الإيمان كانحدار على كتيب الرمل . الإيمان الطلقة ، التي لا تُخطيء قط ، إذ تُطلقينها من بندقية داخل فمك ، يأمي ميريمًا» . ارتجفت يدها قليلاً : «لماذا أُمي ميريمًا؟» . استجمعت نزوة اللاتعيين في المخاطبات : «الطريقُ المُخلصُ للمارة طريقٌ مذعور .

أنفاق - هباتٌ سخيةٌ من المجهول على إخوته المترهلين . أعطني ، يانفق
شَارْهُوْلَمِنْ ، قليلاً من الرمل المؤتمن على أعماقك أعذهُ إليك سلالم
بلا نهايات .

أطبقتُ ليداليا الدفترَ على القلم الرصاص . وضعتُه على المقعد .
نهضتُ . صحَّحتُ وضعَ حقيبتها على كتفها . حملتُ قفص
الهرتين . أسرعتُ في مشيها صوب الأدراج الآلية الصاعدة الهابطة
شمالَ النفق . وضعتُ القفصَ على الأرض ، تحت مُلصقِ الملابس
أنثى داخلية ، أُعْطِيتُ سُلْطَةً أن تتولى نقلَ المحظور المُدنس ، مُقَيِّداً ،
إلى قضاء الإباحة الطاهرة : ملابسٌ داخليةٌ هي حُكْمُ العفو عن كلِّ
إثم .

ابتعدتُ ليداليا عن القفص خطوات . استدارتُ إليه بعينين
معتذرتين : « قبل ثلاثة أيام جاء بكما زوجي إلى بيتنا ، يا ابنتي .
هَجَرَنِي وهجر كما إلى ابنة خالتي . ليس عليَّ أن أمرَّغكما في جرحي
- جرح أمِّ توزَّع أبناءها على الهارين » ، قالت في صمت . استدرَكْتُ :
« ربما ينبغي أن أترك القفصَ قَرَبَ الأدراج جنوباً » . عادتُ فحملتُ
القفصَ إلى جنوب النفق . تركته هناك ، ملقياً نظرةً ، من بعد ، إلى
المقعد ، الذي كانت تجلس عليه . لم تَر دفتريها . ابتسمتُ . فتحتُ
حقيبتها وواجهتُ الجدارَ . ألصقتُ عليه ، في كل خطوة ، مرآةً بِقُدْرَةِ
الصمغ القوي ، حتى نهايته ، غير أبهةً بالقادمين إلى النفق والخارجين
منه : « سيرى النبيُّ القادمُ إلى عِشَاءِ أبي يألوه نفسه ، كما ينبغي
لنبيٍّ أن يراها ، إن مرَّ من هنا » .

طحينُ بنكهة الشُونيز

شقُّ المشَقَصُ ، العريضُ الشفرة ، الجلدُ طويلاً فوق سنامِ الجمل .
ارتعشَ الشحمُ النقيُّ إذ انحسرَ عنه بأناة . عذَّةُ أيدٍ تولَّتْ سلخَ الجلد
عن الهرمِ الصَّغيرِ جذباً به إلى أسفلَ ، قبل أن تقطع يدٌ واحدةً ،
بالمشقصِ الرهيف ، قرصاً عريضاً من الشحمِ الملتمع كجمرةٍ بيضاء .

رغا الجملُ المقيَّدُ بحبلٍ من ركبتيه الأماميتين المطوَّيتين . أرغى .
لوى عنقه الطويل مهتاجاً ، ضارباً برأسه على خاصرته في لوعة . ألقى
نظرةً مسنونةً على الأيدي ، التي شرَّحتِ الشحمَ رقائِقَ ، ورصفتها -
من ثم - فوق صفائحٍ من الحجر المحمى في كومةٍ جمر .

«أعطني خيطاً من حاشية عباءتك يا باكالبا» ، قال بيغون ، فانتزعَ
باكالبا شريطاً رقيقاً من عَصَبِ ظهر الثور ، بسكين لا مقبض له ، من
حاشية عباءته . مرَّ الشريطُ في سُمِّ إبرته المنحوتة من ناب الخنزير
البري . «خذْ» ، قال فتناولها بيغون . رتَّقَ الجلدَ بالشريط ، فوق السنام .
هدأ وقدُ المهانة في عيني الجمل قليلاً .

ثمانية عشر يوماً دار الستةُ الأنفار ، بجمالهم الستة ، على
أنفسهم ، في المضائق الحجرية شرق صحراء لوكهين . استنفدوا
طعامهم ، الذي حملوه في الأجرة الجلد من إقليم كاروكشين .

استنفدوا الباميا المجففة ، وشحم سنام الجمل المجفف ، وجبنة الجاموس
المجففة ، وطحين القمح المزوج بشحم أمعاء الماعز المذوّب منكهاً
بالشونيز . ظلّوا أحياء بهبة من بثر نصف مدفونة ، نيشوا عن مائها
سافية الرمل ، فملأوا رُبْع قِرابهم لَأَ أكثر ، فيما لم تحظَ جمالهم إلاّ
بجرعات .

أكلوا الشحم المشويّ إلى جوار صخرة علا سطحها كثيبٌ صغير .
شبعوا فتراخوا . لم يكلم أحد الآخر : كفّ أربعة منهم عن شحذ
اللوم ، بمبارد الخوف ، وتسديده إلى الدليلين . كفّ الدليلان عن
معاينة النور على خدائعه في العراء المورق . كفّت الجمال عن تذكير
أنفسها أنها جمال .

ناموا ليّهم إلى جوار الحجر ذي الخمار الرمل . في الفجر أرسلوا
خطواتهم وقلوبهم ، متوازية ، إلى الأبعد الشاسع المورق . أجلسوا الريح
على برادع جمالهم وسقّوها أملاً حامضاً . أقلقوا صخوراً ألققتهم
بهذيانها الصامت ، منتشيةً بنبيذ الرمل الأبيض الرمادي . انحدروا
إلى مضيق بين كثيبين جاثمين على أسس صخور تُرى أقدامها .
أشرفوا ، بعد حين ، على فناء يحوطه نخل ميت : هيّ واحدة - ربّما -
لم تأتمن نفسها على السرّ فاستنزفها السرّ الحاجب .

نوّخوا جمالهم في الظلّ الميت للنخل الميت . جمعوا السعف
الصريع شقيّاً في حرّيته الأخيرة ، الحرّ في آخريّة شقائه . أسندوا
الأعناق بعضها إلى بعض على حواف الكثيب المحيط بالفناء فجعلوها
ظُلّة . تحاموا من الريح القلقة بالظُلّة وقتاً ، قبل أن يتناهى إلى
أسماعهم أنين أبهم عليهم وضوح الفناء .

قام بيغون مستقصياً فتتبّعه تالماجور مروّعاً الرمل بساقه العرجاء ،

ساحباً خلفه أثراً نازفاً . صعدا حواف الكثيب المحيط بالفناء ، شمالاً ،
فأشرفا على ملاعب أنجزتها الريحُ رسوماً من جدران مندثرة ، متقابلة ،
تتوسطها بقية هيكَل طين نصف مدفون في الرمل ، متهشم السقف
في معظمه . دخلَ تلماجور وبيغون الهيكلَ الرث ، الشبيهَ ببقايا
مَدْفَنٍ ، متمهلين . دَهَمَتُهُمَا رائحةُ لحم متحلل في بداية عفنه : جَمَلٌ
مذبوح ، مُنْتَزَعٌ شحمٌ سناميه ، يريقُ عليه الذبابُ الأزرقُ - ذبابٌ
مضائق النهاية - خيلاء أشعاره . وفي ركنٍ مظللٍ ثَمَّتَ رجلٌ متمدّدٌ ،
حبيسٌ أنينٍ منهوكٍ يتقرئ به صورَ البقاء المنهوب .

اقترَبَ تالماجور وبيغون من الرجل الطريح . صرخا بصوت واحد :
«فَلْيَأْتِنَا أَحَدٌ بِمَاءٍ» ، فحضر الرهطُ بتمامه مندفعين بهبوب قويٍّ من
خَفَقِ عباةاتهم . قَطَرُوا فوق شفطي الرجل الطريح المتشققتين رذاذاً من
الماء بأطراف أناملهم فارتعشتا حُرْقَةً إلى البَلَل . انفرجتا . فتح عينيه :
«هاعْذُثُم» ، قال بلسان مَحْطَمٍ .

«هذه حروف من لغة أهل كِينَادو» ، قال بالبور .

ابتسم الرجلُ الطريحُ برهةً ، ثم استردَّ ابتسامته خائبةً ، إذ عاد
إليه بصرُهُ المفرط في ثقله بصورِ وجوه ليست هي مَنْ عناها بمخاطبته
الأنيسة . أبقى عينيه معلقةً إلى الصور .

تملَّكَ الستةُ الأنفَارَ ذهولٌ ودَهَشٌ ، وفضولٌ صاعقٌ ، بمقادير لا غلبةَ
لنَفْسٍ فيها على آخر ، وهم يتأملون رجلاً في عقده الرابع ، يرتدي ثياباً
كثياب أهل البُعْد الأوسط في الصحراء الحجرية ، أزرق العينين ، أشقر
الشعر ، ببشرة لم يُحسن الجفاف الكالِح أن يحو بياضها بطبقة من
حراشفه - حراشف الدَّهَانِ الرمليِّ .

«من أين أنت؟» ، ساءله بالبور بحروف من لغة كينادو ، فتمتم

الرجلُ الطريحُ في إعياءٍ : «البرد» .

«البرد؟» ، ساءله بالبور ، فرد الرجل الطريح :

- البرد . . . ما بَعْدَ ذلك . منابتُ البرد .

فَطَنَ بالبور إلى لُكْنَةِ الرجل الغريبة في لَفْظِ كلماتٍ من لغة أهل كينادو . همسَ مقترباً برأسه منه : «أمعك أحد؟» .

أغمض الرجل الطريحُ عينيه . أغمضَ بصرَ رثتيه . هزّه بالبور هزّاً خفيفاً . لمس بأصابعه الخشنة الشَّعْرَ الْمُخْتَطَفَ من براثن الذهب : «مَنْ أَنْتَ؟» ، قال .

تراجع الستة الأنفازُ بجذوعهم المنحنية عن الرجل الميت . جالوا بأبصارهم على الهيكل الطين المتقوَّض . قام جانكوه إلى متاع مكوَّم قرب جثة الجمل ، أهيلَ عليه رملٌ وَسَعَفٌ من غير أن يُخَجَّبَ . أزاح الركَّامَ عن خُرْجٍ وأربع رقايع ، وستة أجربة فارغة . جثا الآخرون ، على ركابهم ، حول المتاع . حلَّوْا الأربطةَ عن الرِّقَاعِ اللَّفائِفِ مُستعرضينَ كمائنَ دواخلها . «هذا شيء من «ثقة الملتبس» ، يا أبناء كاروكشين» ، هتف بيغون منهوباً بالمصادفة النقيّة كدّين لم يعثر عليه أتباعٌ بَعْدُ . «أين الرقايعُ الأخرى؟» ، قال بصوت جافٍّ ، فيه حسرةٌ ونَهَمٌ . حفرَ الركَّامُ ، أكثر ، بيديه ، وبأنفاسٍ من أيدي لهفته . قلبَ تالماجور الخُرْجَ فأفرغ جيوبَ الخُرْجِ من أساورٍ خرز ، وتمائيل صغيرة لخيول من حجرٍ أصفر ، قبل أن يسقط صندوقٌ رقيقُ الحجم على الرمل والحصى فينفكَّ غطاؤه ، فتتناثر من جوفه رموزٌ مجسّماتٌ صلبةٌ تؤوّلُ بها الحروبُ النظيفةُ مجابهاتِ العقل . «هذا شطرنج» ، هتف باكالبا ، واحتضن الصندوقَ ، معيداً إلى جوفه رُسُلَ الدَّهَاءِ الصامتينَ - الأجسادَ الدُّمى المنجّرةَ من خشبٍ قَسَطَلِ الخيل .

«أكان هذا الغريبُ يَهَيئُ لظهورِ نبيٍّ في قومه؟!!!»، تتمم بالبور بحروف تصادمت كالخصي . تبادل الستةُ الأنفَارُ وجومَ الحقائق بنظراتٍ وأجمة . نهضوا واقفين . حملوا متاعَ الرجلِ الميتِ إلى الفناء تحت ظِلَّةِ الأعْدَاقِ الميتة . تهالكوا مستندين بظهورهم إلى أقدام الصخر في حوافِ الكثيب .

كانوا ، في برهتهم تلك ، أشدَّ إعياءً من يقينهم التائه في تأويل المكان التائه .

«سأعود بالشاطرنج إلى كاروكشين» ، قال باكالبا .

«وأنا سأعود بالرقاع إلى كاروكشين» ، قال بالبور ، وهو يضمُّ الرقاعَ الجِلْدَ الأربعَ إلى فخذيه في حرصٍ .

نخزه بيغون بسبابته : «إنها ناقصة ، يا بالبور» .

«فلنستنسَخ هذه الرقاعَ الأربعَ على رقاعنا الأربع عشرة ، يا بيغون ، ولنعدُّ .» ، ردَّ بالبور بصوتِ البديهة العجولة .

«لا» ، قال بيغون . «أنا لن أعود» .

هزَّ الأربعةُ الأنفَارُ الآخرون رؤوسهم متأسفين ، موبخين ، في تعب : «لن نعود» .

تتم تاهشين : «كيف ستهتديان إلى مسالك العودة؟ . قد تكون المسافةُ بيننا وبين مودابورك أقصرَ منها إلى كاروكشين» .

«أعرفت مسالكَ الذهاب ، أيها الدليلُ تاهشين ، إلى إقليم مودابورك؟» ، ساءله باكالبا . قاذَ جَمَلُهُ خارجاً من الفناء فتبعهُ بالبور .

T central

شهوَاتُ رنينٍ استقرَّتْ ، بتمامِ نقوشها ، على سطحِ حقيبةِ
الكَمَانِ المُغلقةِ ، واضحةٌ في صورِ النقوشِ المعدنِ . أوقفَ العازفُ
الشيخُ أوتارَ آله عن نَهَبِ الصوتِ مجرداً ، كضوءٍ ، من خزائنِ الهواءِ :
«خُذْ نَقودَكَ ، أيها السيد» ، قال .

توقفَ الرجلُ ، الذي رمى بالقِطْعِ المعدنية الستَ إلى ظاهرِ الحقيبةِ ،
الممدَّةِ لصقِ قدميِّ العازفِ الشيخِ ، الواقفِ . «أليست كافيةً ثمناً
للإصغاءِ ، نصفِ ثانيةٍ ، إلى عزفِكَ؟ عزفُكَ ثمينٌ في الأرجحِ» ، قال
منحنياً يلتقطُ القطْعَ المعدنِ ، ذاتَ التاريخِ المعتدلِ في اختيارِ النفائسِ .
فردَّ العازفُ : «ألم تَرَ الحقيبةَ مغلقةً؟ مَنْ يُيقونُ حقائقَ آلائهم مغلقةً لا
يتكسَّبون بعزفهم كعادةِ المتكسِّبين في الأنفاقِ ، أيها السيد» .

«المعذرة» ، قال الرجلُ متمعضاً . «لم أرَ غيركَ ، في الألفِ السنةِ
الأولى من عمرِ هذا السردابِ ، عازفاً لا يقبلُ هبةً . كل حقيبةٍ ، أو
قبعةٍ ، قرب قدميِّ عازفٍ ، هي لاستقبالِ هبةٍ . أما الآن فقد أضفتُ
إلى علمي في أمورِ عازفي الأنفاقِ ما يُوجبُ الحذرَ» . خلطَ قطعَ المعدنِ
في قبضتهِ فرنَّتْ رنيناً ناعساً : «وجودُكَ فخٌ ، أيها الشيخ» ، قال
مبتعداً .

«وجود مَنْ فُخَّ ، أيها السيد؟» نادته هيدجيرا . أردفت في غضب : «أنت تخاطبُ أبي يالوه» قالت . لم يلتفت إليها الرجل العابر . شدتها أختها سالوميا من كمَّ معطفها : «اهدأي مرةً» .

«أليس علينا أن نغادر الآن؟» ساءلت ليداليا والدها يالوه ، وهي تنظر إلى ساعة يدها . فاستعرضَ الشيخُ عائلته من حوله : أبيريم . نواهين . ميرما . سآرها . يوش . هيدجيرا . سالوميا . إثمانو . ليداليا . «أين أكيلون ، وبارسيس؟» ، سأل .

«لا تقلق . سيأتيان» ، ردَّت سآرها .

«نصف ساعة أخرى من العَزْفِ سَتُريحُنِي . أعطوني نصفَ ساعة أخرى ، وسنغادر» قال يالُه الشيخ . رفع كمانه إلى أَفْقِ كتفه اليسرى . حرك ذراعه اليمنى يحرِّرها من نجوى ماضية بينها وبين النهايات . أنزل القوسَ في حنان إلى أمومة الخشبة المحرَّقة ، الصقيلة ، ذات العنق الطويل . تحاكَتِ الأوتارُ . قشَّرَ الصوتُ الصوتَ ، كعرناس الذرة ، عن ثمانٍ وثلاثين بزة تطايرت من حول يالوه ، الواقف لصق عمود مغلف بالفسيفساء ، في السرداب الواسع ، الطويل لمركز أنفاق القطارات : غرَّ دائري كالحاتم يلتف على العمود ، أشبه بثعبان أزرق ، محاط من أعلى ومن أسفل بلهب لولبي ذي شِعَب ، في كل شِعبَة ، أو لسان من النار ، ترسُّ من إرث قبائل الشمال : موعظة فسيفساء في المطابقات بين القوة كمديح وبين اللون كثقة .

خلف العمود ، الذي اتَّخذَه يالوه علامة لتحديد الثقل الخاص بالصوت ، واجهة كهف الصرَّافة ، المُحصَّن بزجاج مؤيَّد بقسَم الغيب أنه الزجاجُ الأب ، الذي يختلس من صورة كلِّ عابر ومضة من إرثها الشفيف . في اللوح الزجاج جحور تتبادل الأيدي ، عبرها ،

المكاشفات الأزلية ، المحصورة في تحويل المال إلى إيمان بالأمكنة ،
والأقاليم ، والدول ، والعناصر التسعة للطبائع المنفصلة عن أمهاتها ،
فتتطابق بحكمة الميثاق في ورق نقد ، أو معدن مصكوك نقد ناطق
بلسان التراب والماء الإلهيين .

في مواجهة العمود ، الذي اتخذه يالوه مدرّباً للأعمدة الأخرى على
فوضى الفراغ الهندسي ، مطعم طلسم في إنشاء الروائع مقيّدة بالشك ،
متقلّبة المزاج ، عصبية ، دائخة من نوبات الصرع : ثلاث فتيات ، في
مآزر سود ، يتولين استدراج الخبز إلى البوح بأحوال السّمسم ، واستدراج
أقراص اللحم المفروم إلى تعريف الغدر مُستساغاً تحت اللسان ، ثم
يحملن قباب الخبز المنطبقة على أقراص اللحم إلى أكلة جلوس على
كراسي طويلة السيقان ، يتذوّقون الأبعاد مغموسة في صلصة البندورة
العذراء ، ويشمّون المجرّات مثلجة في أقداح ورقية ، عليها بخار من
أنفاس الخبراء اللامرئيين ، المحترفين في ابتكار اللّوثة للذوق - بريد
الجهات المجففة ، معلقة - كسمك الرنكة - على حبل الإنسان .

على جهتي العمود ، الذي اتخذه يالوه عقلاً مبشراً بقيامة
الأعمدة ، جموع حروف تتدبّر المصادفة تلفيقها كلمات هاربة من سير
اللغات العجولة ، وجُملاً من مخارج الظاهر في الهندسة العجولة
للباطن . جموع رقي ؛ رطانات تواريخ لا تتكلّم إلا همساً . ذاهبون إلى
حروب . قادمون من حروب . كهنة أسرار صغيرة . قواد ليسوا في
حاجة إلى أمكنة ، أو خرائط ، أو هواء . جموع يجرون خلفهم أشباح
إوز في سلاسل ، وأشباح كلاب كالفيلة ، عابرين جداول ماء طافية
في الهواء لا يبتل أحد إذا اجتازها . دائخون ينامون متميلين وقوفاً .
شاحبون لم ينموا ليّلتهم . أصوات شخم . أصوات رماد . أصوات ماء .

أصواتُ زيتٍ . أصواتُ حقائبٍ . أصواتُ مساحيقٍ تبرُّجٍ . أصواتُ صفقاتٍ خاسرةٍ . أصواتُ خطواتٍ قُططٍ . أصواتُ بقايا خردلٍ . أصواتُ غُملةٍ نحاسٍ . أصواتُ كبَشَرةٍ ، وأخرى كقمماشٍ ؛ كرائحةِ التبغِ والفجلِ . أصواتُ عَرَقٍ . أصواتُ إدمانٍ على حروفٍ أُعيدَ ترميمُ كسُورها بصمغِ الأسطِراغالُوسِ ، قرناً بعد قرنٍ . أصواتُ عقدٍ . أصواتُ قطرةٍ ؛ سَيلٍ ؛ قطيعةٍ ؛ جوعٍ . أصواتُ قَرْضٍ ؛ منحةٍ . أصواتُ ربٍّ ؛ حساءٍ ؛ وداعٍ ؛ نَعاسٍ ؛ مغيبٍ ؛ سَرَقَةٍ . أصواتُ أدراجٍ . أصواتُ أرقٍ . أصواتُ تماثيلٍ . أصواتُ إشاراتٍ مرورٍ . أصواتُ تمارينٍ . أصواتُ نسيانٍ . أصواتُ حَمَالاتٍ أُنْداءٍ . أصواتُ عُلْكةٍ . أصواتُ أرقامٍ . أصواتُ طَلقاتٍ ؛ كَرَمٍ ؛ عِنادٍ . أصواتُ كَأَيَّةِ أصواتٍ أخرى كَلَمَ بها الخاسرونُ آلِهَةً خاسرةً .

تمايل يالؤه ، الشيخُ النحيفُ ، ذو المعطفِ المطوَّقِ بحزامٍ على استدارته . مالَ مع الصوتِ في هبوبه على أشرعةِ خياله المائيِّ ، مُتَبَحِّحاً للوجودِ المُهَرَّبِ صفقاتٍ أكثرَ احتراساً في تجويفِ كَمَانِهِ . فتحَ النِّغمَ كالأبوابِ الآليةِ ، القريبةِ ، التي ينفخُ عليها الملاكُ الموكولُ بمداعبةِ الزجاجِ ، كلما اقترب منها جسمٌ . غَزَلَ النِّغمَ خيطاً حريراً في المتاهةِ المُحاطةِ بسبعةِ وسبعين باباً هي مداخلُ الوقتِ إليها ، ومخارجهُ منها . نَحَتَ ، باحتكاكِ الأوتارِ ، مُجَسِّماتٍ صغيرةٍ للسماءِ مرتديةٍ حذاءَ الأرضِ في الممرَّاتِ المتفرَّعةِ عن السردابِ الكبيرِ . جَمَعَ الأنفاقَ ، كُلِّها ، زَحْفاً ، في خندقِ الوترِ الثالثِ . ارتعشَ شَعْرَةُ الأبيضِ ، الأشعثُ ، الخفيفُ .

تكسَّرُ سهمٌ على العمودِ ، فوق رأسِ يالؤه تماماً . تناثرتْ شظايا من الفسيفساء على كمانه . عَلَّتِ الهمهماتُ ، والغغمغاتُ استياءً . خَرَقَ الهَرَجُ سطورَ الجموعِ ؛ فَتَّقَها . ظهرَ أكيلون راكضاً . وقفَ إلى جوار أخيه

يوش . وضعت أمه سارها راحةً يدها على كتف معطفه : «متى سيتوقف عبثكما ، يا بني؟» .

«أتعتقدين أن مايفعله بارسييس هو عبثٌ ، يا أمي؟» ، ردَّ أكيلون لاهثاً . أردف : «ها قد جاء .» . التفَّ حول حلقة العائلة ، ومضى هارباً .

مرُّ سهمٍ من فوق الرؤوس أثار زئيراً في الفسيفساء .
انطفأت الأضواءُ في السرداب الكبير .
ارتبكتِ الجموعُ . شلتُ . تعالَى صراخٌ متفرِّقٌ ، وتطايرتِ
الشتائمُ .

عاد الضوءُ ، بعد برهةٍ لا أكثر . انجلى الضبابُ الأسودُ عن نهبٍ
قليل هنا وهناك .

«لماذا لا توقف عزفك الرديء هذا ، يا أبي؟» قال بارسييس ، وهو
يدور بسهمه المهيأ في الوتر المشدود بحثاً عن أخيه .
«لا تكلم أباك بلسانٍ مُنْهَكٍ» ، قالت أمه ميريما ، ذات المعطف
الشبيه بمعاطف الرجال .

انطفأ الضوءُ ثانيةً في السرداب الكبير .
أطلق بارسييس سهمه : «خُذْ عقلَ الظلام مُجتمعاً في نَصْلِ
واحد ، يا أخي أكيلون» .
تناهى في الممرات كلها عواءٌ ذئب .
عاد الضوء .

سَحَقَ يالوه وتراً على وتر ، مُستنطقاً اللَّهَبَ المتوقِّزَ في عِزْفِهِ ،
فأصغى إليه أرخبيلُ ستوكهولم - أرخبيلُ الأثر الثالثِ من آثار
الإنسان في عبوره إلى الحصنِ المفقود .

تمهيدٌ كاملٌ لشيءٍ ما في كاروكشين

قَلْبَ تِغْوُتْكِينْ شاهَ ، ذو العمر المكتسَحَ بخنادق السنين ،
صندوقَ الشطرنجِ المحترقَ بين يديه ، فتذَرَّذَرْ على فراءِ عباءته فُتَاتُ
الخشبِ المتفحَّمِ : «هذه رِمَمُ العقلِ في كاروكشين» ، قال . حركَ
الجمَرَ ، في كانونِ النحاسِ الدائريِّ ، بسنانِ رمحٍ قصيرٍ ، فتأَلَّقَ الشرُّ
الرسولُ .

كان الرجل - المهترىء اللحية من قدَمِها ، محاطاً من جهاتٍ
ثلاثٍ بجلودِ الفَنَكِ ، والسَّمُورِ ، ذلك المساءُ الصقيعُ ، المتفَلَّعُ من عزيفِ
الريحِ حولِ البلاطِ . أصغى كما الجالسينِ في البهو المضاء بقناديلِ
الشحمِ ، إلى صريفِ خشبِ المنجنيقينِ ، وأنينِ خشبِ العَرَّادةِ
الوحيدةِ ، في الخارجِ ، حيثِ الحَرَسِيُّونَ - سهارى على ظهورِ الجيادِ ، أو
نائمين على ظهورِ الجيادِ - يستكملون حشودَ النجومِ الجليدِ في سماءِ
كاروكشين ، ويَعِدُّون الأرضَ بأرواحٍ أكثرَ دهاءً من أنْ يستميلها الموتُ
إلى حروبِ الأرواحِ .

وضع تِغْوُتْكِينْ شاهَ رُؤْمَةً صندوقَ الشطرنجِ جانباً بيديه
الضخمتين ، المتيبَّستين : «عادلُ أنا يا مُرشدَ المُكناتِ» ، قال . جال
ببصره ، من شَقِيَّ عَيْنِيهِ المفرطتين في انغلاقهما ، على الجالسينِ على

جلود أنصافَ حلقات ، في بهو بلاطه - الأرض المرصوفة صخراً
أملس ، دائرياً ، باستنساخ لثبات الكلبي متعاقباً على ذاته بلا نهاية .
يحيط بالصخر الأملس للبهو جدارٌ لُبُودٌ سُمْكُهُ ذراع ، يعلوه سقفٌ من
طباق جلود ستّ طبقات . للبلاط مدخلٌ إلى البهو من جهة الآبار في
السُّهُب ، وأربعة أبواب من خشب الميموزا - الشجرة المُسْتَحْيَةِ ، وسط
الجدار اللُّبُود ، في نهايته : باب إلى مقاصير الحرم ؛ وبابٌ إلى خزائن
السلاح ؛ وبابٌ إلى أوعية المُوْنَةِ ؛ وبابٌ إلى خزانة رواتب الجند
ونفقات البلاط بمقادير من مسكوكات الفضة والذهب ، وأحجار الجَزَعِ
العقيقي ، والجَمْشُت ، واليَشْب ، والآنية المعدن .

وَجَأَ الشَّيْخُ الْمُتَاكِلُ الْجَمْرَ بَسَنانِ الرَّمَحِ : «ماذا ينقصنا في
كاروكشين؟» ، قال باللسان الجامع لما لا يدوم .

غمغم جلساء الليل في قبعاتهم الجلد واللُّبُود ، قبالة تيغوتكين
شاه . نَكَّتُوا الجَمْرَ في مجامرهم النحاس بقضبان قصيرة من غصون
العضاء : «لا ينقصنا شيء . سماءٌ موفورة . أرضٌ موفورة . خيول
وجمالٌ موفورة . أجبانٌ ، ومنجنيقان ، وعُرَّادَةٌ لا تملك مثلها أُمٌّ كثيرة
في البُعْد الأوسط لصحراء الحجر . لنا قلوبٌ ثيران ، وصَبْرٌ ريح ،
وبراعاتُ الربيع القصير . لا يلزمنا شيء» .

«ينقصنا نبيٌّ» ، قال الهَرَمُ تيغوتكين شاه . «تدبَّرت الأقاليم وراء
جدار زَانِهِنِغِ الهائل ، وهضبات الشمال الناقص ، أنبياءٌ لأُمَمهم ، إلّا
كاروكشين . سيكون لكاروكشين نبيٌّ» .

«فليكنْ لكاروكشين نبيٌّ» ، غمغم جلساء الليل أنصافَ حلقاتٍ
في البهو الواسع .

«سيكون ابني لِنَكْ شاه نبيٌّ كاروكشين» ، قال الرجلُ الهَرَمُ ،

فردّد جلساء الليل :
- لِيَكُنْ .

حكّ تيغوتكين شاه الجمرَ بسنان الرمح القصير فتدغدغَ الجمرُ .
بسطَ رؤيا السهوب المتتابعة على أعماقه - أعماق أمم مكاييل الريح :
« تالما جور . تاهشين ، يادليلي إلى السنّف الحافظ لكلّ ظلّ في إقليم
مودابورك ، الإمارة المسوّرة بحجر البازلت الأسود - حراب الحقائق ؛
وأنت ، ياباكالبا ، ياشقيق الرقعة الثالثة في المتوازيات ، كليّم ، الهاوية
الثالثة في نُقْلة البيدق ؛ أيّها ، الأثّما ، بالبور ويغون ، المتأثقان في
أبوة الحرف القيّاف » . صمت برهة يتأمل الرجل الأمهق : « جانكوه ،
يا الأصل اللون ، وإرثه » ، قال مشيراً بإصبعه إلى مَنْ ذكر أسماءهم :
« لكم حظوة أن يتتبّعكم الربيع القصير ككلب في سهوب كاروكشين .
أنتم دليل ربيع كاروكشين إلى سفوح كاكونت . خذوا معكم شذور
ذهب ، ومسكاً ، وكافوراً ، وعنبراً ، تقايضون به علوم الكمال الأول في
دساكر مودابورك . سبع رِقاع جلد لبابور ؛ سبع لبغون ، يدوّنان عليها
ببراعات من شوك النيص ، وبحبر من الزّاج والنّيلج كتاب « التمويه
على الأقدار المعلومة » . سبع رِقاع لجانكوه يعيد نسخ « ثقة الملتبس » -
كتاب تبويب اللانهائي رسوماً . خذ ماتشاء ، ياجانكوه ، من الزنجفر -
مشيئة الخالد ؛ خذ العُصفر - ثقة النبات بحروفه ؛ خذ أرجوان
الصّدف من بحر زينغمو الضيق . باكالبا سيتخيّر لنا الشطرنج الأكثر
صقالة في خشبه يرى فيه المحكم صورته كما في مرآة . حروف ،
ورسوم ، وشطرنج يُعيد بها ابني لنك شاه تدبير نشأته الثانية - نشأة
المحيّر » ، قال . حدّق ببصر الأكيد المحرّص إلى الدليلين تالما جور ،
وتاهشين ، فأوما برأسيهما إجلالاً .

X vägen

ثمانى شجرات أرضعنَ الليلَ الوليدَ حليباً من أنداء ظلالهنَّ .
ثمانى شجرات ، من العَفَصِ الأزرق ، تساقطتْ قطراتٌ من حليب
ظلالهنَّ على الممرِّ الحجريِّ بين بؤابة السياج وباب الدار ، المحاطة بفراغٍ
عُشب من جهات ثلاث ، مثلها مثل الدور الأخرى ، المستقلة
بذواتها ، في صفوفٍ متقابلةٍ ككلماتٍ صلاةٍ هي هيَ منذ بزوغ العقل
الكلبيِّ ، المذعور ، على حقائقه المذعورة .

أصواتٌ من داخل الدار تنالتْ خافتةً كبلور يتكسر تحت مخدة . لم
تأبه شجراتُ العَفَصِ الزرقاء بسقوط شظايا من تلك الأصوات على
ظلالها . لم تأبه للحروف التي تناثرتْ مُبلِّلةً بعافية الشهوات المُنتخبة .
لم تأبه للمصاييح القوية ، في داخل الدار ، يتهتِكُ ضياؤها فوق الخِوان
الطويل ، وسط البهو . سِماطٌ منتعشٌ بالسرد القوي لمهارات الطبخ . آنيةٌ
أثارَ من علوم الذوق في مجاهل الأفاويه . تمرّاتٌ في الأفاويه سلكها
أدلاء النكهات بأثار مُعربة . صورٌ روائح . أطباقٌ من أم البقول الناضجة
بهداية الماء المغلي ، أو البخار المقدّس . أطباقٌ من براعة الزيت ، وحيل
اللحم ، وهرطقة الجوز واللوز ، محاطة بطاعة المشاقيل المتجانسة من
أخلاط العناصر . أطباقٌ مشمولةٌ بعفو الملح عن كل شيء .

على أطراف السَّمَاطِ تناهشتِ الثَّرَثَاتُ . رفع يالؤه غليونه الأسود
إلى فمه واقفاً يستعرض الصَّحُونُ ، والأطعمة ، والكؤوس ، والأباريق :
«القلوبُ سُحْبٌ مطرُها العقلُ» ، قال . دار ببصره على جدران البهو ،
المغطاة بأغلفة جلد مُنْتَزعة عن كتب بحروف شتى ، مثبتة بمسامير
كبيرة . غمس سبَّابته في كأس النبيذ المتكتَّم على دُيْنِ العنب . نشر
رذاذاً على الجدران . وَسَمَهَا بالبلبل المَطْهَرُ : «حروفُ الأصلِ المُسَكَّر» .
«ماذا نفعل بقلوب ليست سُحْباً ، يَا أباي؟» ، ساءلته ليداليا ،
الجالسة على الأرض ، وقد صَفَّتْ أمامها تسع مرايا صغيرة كمربعات
الشطرنج .

«نترك أمره لعقول سُحْبٍ تَمَطَّرُ قلوباً» ، ردَّ أبيريم الأنيق ، متكثراً
بكتفه إلى خزانة ذات رفوف ، عليها كتبٌ بلا أغلفة ، مهترئة متأكلة .
«أأسمعُ هطولَ مطرٍ في الخارج؟» ، تساءلت سَارُها الهادئةُ
متوجِّسةً ، فردت ضُرَّتُها ميرياما : - بل تسمعين نقر أصابع هيدجيرا
على عُلْبِ التبغ الفارغة . كم علبةٌ تدخُنْ ابتك في الساعة؟
ردَّتْ هيدجيرا من غرفة جانبية ، مفتوحة الباب : «سَادَخْنُك يوماً
في غليون زوجك ، زوج أُمِّي يالوه» . دَمَدَمَتْ في غيظٍ خافت : «أباي
يالوه» .

اهتزَّ السَمَاطُ فجأةً باصطدام أكيلون به ، خارجاً من إحدى
الغُرف ، رافعاً يديه ، متصنعاً استسلاماً ساخراً : «هذا المكان أضيق
من أن ترميني فيه بسهم» .

«لم أجربُ ، من قبل ، أن أصيبك داخل البيت . سأجربُ الأمرَ
الآن . خذْ سهمي» ، قال بارسييس وهو يشد الوترَ أقصى مايشدُّ وترٌ
في قوس .

«انتظر»، قال أكيلون . مرر أصابع يديه في وفرة شعره الطويل :
«سأخبرك ، يا أخي بشيء لم يخبرك به أحد من قبل» .

أرخی بارسيس الوتر : «ماهو؟» ، ساءل أخاه ، فرد أكيلون مستديراً
إلى يالوه الشيخ :
- أخبره يا أبي .

«أخبره بماذا؟» تساءل يالوه من بين أسنانه المسكة بعقب
الغليون .

صمت أكيلون متصنعاً أنه ينتظر من أبيه حديثاً . نقل الأب
بصره بين وجهي ابنيه : «أخبره بماذا؟» .

أنزل بارسيس قوسه . أرخی كتفيه : «ماذا يعني أكيلون؟ ألدك
ماتخبرني ، يا أبي؟» ، قال في فضول واضح ، فرد يالوه مبعداً غليونه
عن فمه :

- أكيلون يستهزئ بك . ضع قوسك جانباً . أرخ سهمك من
هياجه المتتالي . أصلح هيئتكَ المشعثة . اضبط إيقاع ثيابك على عزف
جسدك . كن نشيداً هذا المساء ، يا بني بارسيس .

«منذ متى أطارد أكيلون ولا أقتله؟» قال بارسيس . صحح وضع
نظارتة على أصل أنفه : «منذ متى أطاردك يا أكيلون؟» . استدار إلى
يالوه : «أحس تأنيباً كلما نظرتُ إلى هذه القوس في يدي . لقد ورثتُ
سهامي خيبة لا تطاق . سأقتل الليلة أكيلون يا أبي» .

نفخ الأب دخاناً مُمشِطاً من فمه : «هين نفسك لعشاء مع نبي
أيها المغرّد . القتلُ مدوّن جيداً في هذه الأغلفة المعلقة إلى جدران
البيت . قتلُ داخل هذا البيت لن يدونه أحد . قتلُ لا يُدوّن قتلُ
ركيك» .

تقدمت سارها القصيرة الممتلئة من ابنها أكيلون . أبعدته قليلاً عن السَّمَط ، الذي التصق ظهره به : «مالذي يجعل الأخوة في هذا البيت حيرة؟» ، تمتت .

«البارحة خطأ اليوم . الأخوة ، في البارحة ، أخوة من أخطاء اليوم . قيسي الأمر على هذا النحو ، يا أمي» ، قال نواهين ذو البياض الشاحب . أردف : «كلُّ بارحة هي خطأ في تقدير اليوم . كلُّ يوم يأتي هو خطأ في تقدير البارحة . البارحة ، واليوم ، خطأ في التقدير كالأخوة ذاتها . كلُّ أخوة خطأ في التقدير . نحن عائلة يا أمي . العائلة فح» .

نهضت ليداليا ذات الشعر القصير ، مبقيةً بصرها على المرايا التسع الصغيرة على الأرض : «مَنْ التقطَ الهرتين في نفق شارهومين؟ أكاد أسمع مواءهما» ، قالت بلسان الحزن العالم . هزت رأسها أسفاً : «سأقتل أولادي إذا هجرني زوج آخر مع ابنة خالة أخرى لي» . «هم تفكرين وأنت تتحدثين هكذا ياليداليا؟» ، ساءلتها سالوميا موبخة ، فردت ليداليا :

– أفكر بما رايا تليق بنبي أن يرى نفسه فيها .

أصغت العائلة ، بتمامها ، إلى صوت صادر من باب الدار . اهتز الباب قليلاً كأنما يدفعه أحد ليدخل . توقف الهزُّ برهة . دارت العيون ، بعضها على بعض ، متجادلة جدال السكون المحكم . اتسع استغرابها إذ سُمع إدخال مفتاح في القفل ، وإخراجه ، مرّات متتالية ، سعيّاً من أحد ما إلى فتحه ، دون جدوى .

«هل مُتَم؟» ، ساءل يالوه أهله ممتعضاً . تحرك إسمانو هامساً : «سأنظر ماهناك» ، فسخر يالوه : «مازال عندنا من له عينان ، في هذه

العائلة» .

سبع عشرة خطوة نشرها خلفه إشمانو ، ذو النمش الخفيف على أنفه ، في وصوله إلى الباب . فتحه : سيدة طويلة ، بدت مستغربة حتى أعماقها من رؤيتها الشاب ، الهادئ العينين . مالت برأسها جانبياً تستجلي صورَ الحاضرين في البهو ، من خلل الباب المفتوح .
«أأنت تتلصصين ، أيتها السيدة؟» ، ساءلها إشمانو .

تمالك المرأة ، المشتعلة بمعطف أسود ، ذهلها . شدت حبلاً في يديها فاستقرَّ كلبٌ صغير إلى جوارها : «مَنْ أنتم؟ مَنْ غَيْرُ القفل؟» ، تساءلت منهوبة العينين .

«أيُّ قفل؟» ، ساءلها إشمانو .

«قفل بيتي» ، قالت . حدقت إليه تتوسل جواباً : «أليس هذا بيتي؟» ، فردَّ إشمانو مستظرفاً أحوالَ المُحَادَّة :
— ماذا تعتقدين؟

«أعتقد أن هذا بيتي» ، قالت بلسانٍ بريءٍ من شبهات الكلام .
«وأنا أعتقد ، أيتها السيدة ، أنه ليس بيتك» ، قال الشاب .
حشر الكلب الصغير نفسه بين دفتي الباب يحاول الدخول ، فسدَّ إشمانو الفُسْحَةَ عليه بقدمه . تدحرج صوتٌ هيدجيرا في البهو :
«مَنْ في الباب ، إشمانو؟» .
«كلب» ، ردَّ إشمانو .

«هات به ، سأعلمه التدخين» ، قالت هيدجيرا .
حاولت المرأة الطويلة استراق النظر ، من جديد ، على البهو ، متممة : «ألا ترى أن كلبتي يعرف هذا البيت؟» .
«إن ظنَّ كلبك أنه يعرف هذا البيت ، فهو ليس كلباً ، في

الأرجح» ، ردَّ إश्مانو . اعتذر بعينيه مختزلاً المُحادثة المتقشّرة كضحكة : «لدينا أشغالنا . عَمِتْ مساءً» ، قال ، وهو يردُّ الباب كي يُغلقه ، فوضعت المرأة راحتها على عارضته : «كلّما حاولتُ الدخول إلى بيتي جاءني مَنْ يخبرني أنه ليس بيتي . كم من الوقت تدرّبتم على جواب كهذا؟» ، قالت بصوت فيه شروخٌ .

مدَّ إश्مانو رأسه إلى الخارج : «أفهم لوعتك ، أيتها السيدة» ، قال مبتسماً . «لا تسأليني : لماذا تنظرون إليّ هكذا؟» .

«نعم . كنت سأسألك . لماذا ؟» ، قالت ، فردَّ إश्مانو :

– نحن مدرّبون على هذه النظرة .

شدّت المرأة رَسَنَ كلبها : «هل سمعتَ عويلاً في هذا الشارع؟ كلّما طرقتُ باباً وغادرته سمعتُ عويلاً خلفي» ، قالت .

«سَمَعِي ليس جيداً» ردَّ إश्مانو . التمعتْ دعابةً في عينيه تأملتها المرأة بعينيهما مبتسمةً في انكسار . قالت :

– أليس لديك ماتسألني؟

«أتريدين أن أسألك عن شيءٍ ما؟» ، ردَّ إश्مانو ، فسألتُه ثانية :

– أنت متأكد؟ لا بأس . أنت لطيفٌ . أغلق باب بيتي .

«عمي مساءً» ، قال إश्مانو ، وهو يتبعها بعينيه منصرفةً عبر الممر الملتمع بظلال شجرات العفص الزرقاء . لم يغلق الباب . نَحَتْها بخيال فضوله حركةً ، وملامح ، وثياباً : شعرٌ أسود طويلٌ يحيط بتعب ليس مُرهقاً في وجهٍ سَهَرٍ جمالٍ ما عليه طويلاً . غمازةً في الذقن . عيانان تنسيان ما تريانه في البرهة التي تريان ما تنسيانه . معطف فوق ساقين مكشوفتين . حذاء واطيءُ النعلين . كلبٌ – بقيةٌ محاوراةٍ بين شخص مستوحِدٍ وذاته . أعوامٌ خمسون؟ ربما . وقفت المرأة ، كما رآها إश्مانو ،

تحت عمود الإضاءة ، في الشارع . تلفتت يميناً وشمالاً مراراً كأنها تريد تعريف الشارع بنفسه ، أو تقيس بطوله تيه روحها .
أغلق إثمانو الباب .

«من كان الزائر؟» ، ساءله نواهين ، فرد إثمانو : «إمرأة كمكان شاغر ينتظر بناء بيت فيه» . انتبه إلى العيون تستوضحه أبعد قليلاً من تورية لسانه العاثر ، فاستطرد مستفزاً : «بيت مفقود يبحث عن شارع» . اختطف بأنامله ، من وعاء خزفي ، قرن لوبياء مسلوقة . دسه في فمه . غمغمت ميريما مستاءة : «توقف عن القضم ، يادودة البلاذر» .

تقدّمت هيدجيرا من السّماط بدورها . انتزعت ساق كرفس ، من صحفة ملأى بالخضار ، تحت بصر أمّها المهدّدة . مدّ بارسييس يده إلى كتف أخته : «ابتعدي قليلاً عزيزتي . سيصعد أكيلون سطح هذا الخوان» ، قال . وأوماً إلى أخيه : «أرني براعتك في القفز» .
«أحذرك . سأصعد السّماط» ، قال أكيلون .
«اصعد» ، ردّ بارسييس .

صعد أكيلون سطح الخوان ، بعدما نزع حذاءه . علأ صخب التوبيخ ، والاستنكار : «عمّلنا طويلاً على ترتيب المائدة . يالله . احذر الصحن . انزل . ماهذا التهريج؟ دعكت قماش السّماط . جورباك مهينان» .

أصوات كيغاسيب البرك الراكدة أفرغت طنينها حول أكيلون ، الذي فتح ذراعيه فوق الخوان ، في ضراعة للمغاليق : «السهم حيلة المسافة ، يا بارسييس» ، قال .

ابتعد بارسييس حتى أبعد أعماق الغرفة ، المواجهة ببابها للبهو .

جثا على ركبته اليسرى : « هذا وقتٌ يُؤكلُ نيئاً يا أمي ميريم » ، تتم .
هياً قوسه - قوسَ المحترف . فوقَ السهم . شدة فانشد الوترُ مُستثاراً .
تفتق الهواء .

هوى أكيلون فوق السماط : شقَّ السهم رصفه ساقه اليمنى ،
فانسكب الألم ثقيلاً رصاصاً مصهوراً في تجاويف عظامه . قلتُ
متوازناً الثقل نسيجها . تهاوى عضو من الجسد ساحباً خلفه أعضاء
أكيلون كلها . تلاطمت الكؤوس الفارغة ، والزجاجات الملاءى .
تقاسمت الأوعية قلقَ الطعام الكثير .

شجراتُ العفص الزرقاء تلقت عويلَ سآرِها بأيدي ظلالها .
قسمتها مفاتيح على أقفال المساء المعلقة ، في الفسحات ، بين
مصابيح الشارع . أصغت المرأة الطويلة ، الواقفة تحت عمودِ حالم .
« العويل » ، تمت . التصقَ كلُّها الصغير بساقها ، حين ارتفع عواءُ
ذئبٍ أيضاً ، من الغمر الخفي ، المترامي وراء باب الدار المغلق ،
والسما المعلقة الراكدة كماءٍ راكد .

اللانهائي متأخراً عن مواعده

بَلَّلْ بِاَكَالِبَا ، وَبِالْبُورِ ، شِفَاهِمَا بِالمَاءِ ، فِي حِرْصٍ ، وَهَمَا يَتَبَادَلَانِ الْقُرْبَةَ الْمُسْتَنْزِفَةَ . حَجَبَا وَجْهَيْهِمَا مِنَ الرِّيحِ مُسْتَطَارَةً مِنْ عِبُورِ تَنِينِ الْغَمْرِ الْخَفِيِّ ، وَرَاءَ حِجَابِ الْعَقْلِ ، فِي صَحْرَاءِ لُوكْهَيْنِ . «أَيْتَهَا الْجِهَاتُ الْمُرْضِعَةُ» ، نَاجِيًا مَحَنَةَ الْمَشَابِهِ الْمَشْكِلِ .

تَحَدُّثًا طَوِيلًا ، فِي بَحْثِهِمَا عَنْ أَثَرِ يَضْعُهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى كَارُوكْشَيْنِ ، عَنْ الْغِيلَانِ الْحَارِبِينَ الْقُرْأَءِ ، بِحَسَبِ سَرْدِ رُخِيمٍ مِنْ بَاكَالِبَا ؛ وَعَنْ كِتَابِ «الْتَمُويَه عَلَى الْأَقْدَارِ الْمَعْلُومَةِ» ، بِحَسَبِ سَرْدِ غَيْرِ أَكِيدٍ مِنَ الْبُورِ . غِيلَانٌ فِي دُرُوعِ حَجَرٍ ، وَخُودَاتِ حَجَرٍ ، وَأَسْلُحَةُ حَجَرٍ ، يَتَوَاجَهُونَ فَيَقْرَأُونَ فِي أَلْوَاحٍ حَجَرٍ غَزْلًا مِنْ كَلْفِ الرَّمْلِ وَوَلَعِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَطَاحَنُوا . كِتَابٌ تَدْرِيْبٌ لِلْأَقْدَامِ عَلَى ارْتِقَاءِ السَّلَالِمِ الرَّمْلِ ، وَاخْتِبَارُ الْكَلِمَاتِ بِإِعَادَتِهَا إِعْيَاءً ، وَوَصْفُ الْمَعْجَزَاتِ بِوَصْفِهَا دَنْسًا مُخْتَمَلًا . وَقَدْ خَمَّنَ بِالْبُورِ ، الْعَارِفُ بِمِثَاقِيلِ الْحَرْفِ ، أَنَّ شَرِيكَهُمْ فِي الْمَهْمَةِ الْمُتَقَوِّضَةِ جَانِكُوهُ الْأَمْهَقُ ، مُنْتَدِبٌ لَاسْتِنْسَاخِ كِتَابِ تَمْهِيدِ لَتَبْوِيْبِ اللَّانْهَائِيِّ رَسُومًا يُرْغَمُ الْعَقْلَ عَلَى تَأْوِيلِ الْعَادِيِّ كَخُدْعَةٍ . وَالرَّسُومُ الَّتِي فِيهِ لَيْسَتْ أَشْكَالًا . رَسُومٌ طَخَنَ لِصُورِ لَيْسَتْ صُورًا . خَطُوطٌ أَبَدِيَّةٌ ، وَنُفَاحَاتٌ لَوْ أَنَّ كُلَّهَا فَخَاخٌ يُولَدُ بِهَا الْعَقْلُ حَذَرُهُ مِنَ الشَّكْلِ .

استنفد الناكصان عن مهمتهما أُنْصَمَةً جميلهما الأربعة يأكلان منها الشَّحْمَ نَيْثاً ، مُذْ عادا أدراجهما بصندوق الشطرنج ، وأربع رقايع من المدونات . استنفدا الكلمات والإشارات . استنفدا سُنَنَ الظلال ؛ أذياتها ومذاهبها استذكّاراً بالأمل المجتهد في نَحْتِ خيبته تيجاناً على أعمدة . هيأاً لنفسيهما سماءً ممزقةً بمخالب السُّحُب .

ضاقَت دورةُ الروح البطينةُ في الهياكل الحية للجمالين والرجلين . عطَّلَ الجمالان خيالهما مستنجدتين بغيبوبة لم تُنْجِزَ رَسْمَ صورها بعدُ . عطَّلَ الرجلان ، بقيد اليأس ، بزوغَ أيِّ أليفٍ عليهما من شرق العقل أو غربه . لقد اكتمل لهما ، أخيراً ، فشلُ الليل في إقناع النهار بمسالك النجوم ، وفشل النهار في إقناع الليل بمسالك الثور في عماء الظاهر الكبير .

لكن العجاجَ النقَّاشَ ، الذي حفر ، وراء كثيب من الرمل المُزْضِعِ حجرَ لوكهين ، صَحْباً أرضياً على اللوح الصلب للأعالي ، استردَّهما يقينينِ حالمين . تبادلا من حنجرتيهما الياستينِ رذاذاً من زيت الكلمات : «يانداء اللانهائي» ، المُرْشِدِ إلى البشر الأولى .

استجمعا الريحَ في عظام سيقانهما وهما يجرَّانِ خطاميَّ الجمالين خلفهما . صعدا الكثيبَ ، فصعدا بإزائهما تسعة أنفارٍ ، أقوياء الأيدي في لَكْزِ أعناق جمالهم . التفؤوا حلقةً حول الرجلين . نوَّخوا جمالهم فبركتْ مهذبةُ الطبائع . سقوهما ماءً يعيدون إليهما ثقةَ العَصَلِ بالرجاءِ العَصَلِ .

«من أين أنتما؟» ، سألهما رجلٌ طويلٌ ، بلغة أهل كينادُو المترنحةِ الحروف ، فردَّا بالفاظٍ مُخْتَصِرَةٍ من اللغة ذاتها : «من سهوب كاروكشين» .

فَتَلَّ الرجلُ الأكثرَ طولاً بينَ التسعةِ الأنفارِ ثلاثَ شعراتٍ نابتةً
على أُرْبَةِ أنفه بسبَّابته وإبهامه . طَوَّقَ باكالبا وبالبور بعينيه المرتابتين :
«ماذا تحملان معكما؟» ، فردّا :
- نحمل مالا يؤبهُ له .

«يعجبني ، أبداً ، أن أُلقي نظرةً على مالا يؤبه له» ، قال بلسان
المكر .

نَوَّخَ شخصان من التسعةِ الأنفارِ ، ذوي العباءاتِ الجلد والعقودِ
الودَّعِ حول القُبَّعاتِ ، جَمَلَيَّ باكالبا وبالبور . كَمَّم الرجلُ الطويلُ أنفه
براحةِ يده : «ماذا فعلتما بهذه الأُسْمَنة؟» ، ساءلهما مشمئزاً . أوماً
إلى رَهْطه : «أفرِغوا الخُرْجَيْنِ» ، فأفرغوا الخُرْجَيْنِ عن أربعِ رِقَاعٍ لفائفٍ ،
وصندوق .

التَقَطَ الرجلُ الطويلُ لفافةً . حَلَّ الشريطَ المطوَّقَ وبَسَطَ الرقعةَ
منشورةً على فخذه . استدار بوجهٍ متجهِّمٍ إلى باكالبا وبالبور : «أين
الرقاعُ الأخرى؟» .

«لا رِقَاعَ أخرى» ، أجابا .

نقل الرجلُ الطويلُ بصرَ عينيه المشقوقتين - عينيَّ أمِّ الريح - إلى
صندوق الشطرنج . ابتسم ابتسامةَ المكر . استدنى رَهْطه بإيماء فتدانوا
إليه . تهامسوا . فضوا حلقتهم . حملوا الرِقَاعَ وصندوق الشطرنج إلى
خُرْج الرجل الطويل ، ذي القبعةِ الجلد المنسدلةِ الخواف على وجهه
كقناع . صعدوا ظهورَ جمالهم واستنفروها فتأهَّبَتْ واقفةً .

نَزَفَ العضلُ حَمْضاً في جسدَيَّ باكالبا وبالبور . صفَّرتُ
عظامُهما صفيرَ الذَّعر . جرّاً نفسيهما متضرَّعينِ إلى التسعةِ الأنفارِ :
«لا تسلبونا متاعنا هذا ، بحقِّ المغيبِ عليكم» .

تتبعاً الجمالَ التسعةَ ماشيةً . دحرجا خطوات شظايا على الرمل
والحجر مُعْتَصِرَيْن : «أعيدوا إلينا متاعنا ، أو اقتلونا» ، قالوا .
أوقفَ الرجلُ الطويلُ جمَلَهُ . استدار إليهما :
- لا نقتل مَنْ لم يتدبروا لأنفسهم نبياً بعد .

اختبَلت النُظْمُ الصغيرةُ في صحراء لوكهين ،
وأُغميَ على النُظْمِ الكبيرة .

سكوغوس - السويد

٢٠٠٦

صدر للمؤلف

- * كل داخل سيهتف لأجلي ، وكل خارج أيضاً (شعر)
- * هكذا أبعثر موسيسانا (شعر)
- * للغبار ، لشعدين ، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك (شعر)
- * الجمهرات (شعر)
- * الجندب الحديدي (سيرة الطفولة) (سيرة)
- * الكراكي (شعر)
- * هاته عالياً ؛ هاتِ النّفير على آخره (سيرة الصبا) (سيرة)
- * فقهاء الظلام (رواية)
- * بالشباك ذاتها ؛ بالشعالب التي تقود الريح (شعر)
- * أرواح هندسية (رواية)
- * الريش (رواية)
- * البازيار (شعر)
- * الديوان (مجموعات شعرية في مجلد واحد) (شعر)
- * معسكرات الأبد (رواية)
- * طيش الياقوت (شعر)
- * الفلكيون في ثلثاء الموت : عبور البشروش (رواية)
- * الفلكيون في ثلثاء الموت : الكون (رواية)
- * الفلكيون في ثلثاء الموت : كبد ميلاؤس (رواية)
- * المجابهات ؛ الموائيق الأجران ؛ التصاريف ، وغيرها (شعر)
- * أنقاض الأزل الثاني (رواية)

- * الأقراباذين
- * المناقيل
- * الأختام والسديم
- * دلشاد (فراسخ الخلود المهجورة)
- * كهوف هايدراهُوداَهُوس
- * المعجم
- * نادرِيميس
- * موتى مبتدئون
- (مقالات في علوم النظر)
- (شعر)
- (رواية)
- (رواية)
- (رواية)
- (شعر)
- (رواية)
- (رواية)

السلام الرملية

ISBN 9953-36-970-4



9 789953 369709

